

الله جل جلاله يراني

ووقفات مع نماذج ساطعة وقصص رائعة ناصعة

إعداد : أحمد بن عبدالله السلمي

ⓒ احمد بن عبدالله السلمي ، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السلمي ، احمد بن عبدالله
الله جل جلاله برائي. / احمد بن عبدالله السلمي .- الاحساء ، ١٤٣٣هـ

١٩٦ ص ؛ ..سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٠١-٠٠٦٨٥-١

١- الله جل جلاله ٢- الايمان (الاسلام) ٣- الوعظ و الارشاد
أ.العنوان

ديوي ٢٤١ ١٤٣٣/٧٥٠٩

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٧٥٠٩
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٠١-٠٠٦٨٥-١

الله ﷻ يراني

ووقفات مع

نماذج ساطعة

وقصص رائعة ناصعة


بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ونستغفره ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا وبعد :

- عبد الله : إعلم أن أرقَّ القلوب قلب يراقب ، وأعذب الكلام ذكر الله ، وأطهر حب الحب في الله ، فأنا أحبك في الله وأهدي

إليك رسالة موسومة بـ

[الله ﷻ يراني]

مع نماذج ساطعة، وقصص رائعة ناصعة .

على كف الندى أهدي كتابي

وأرخـــي في محبتكـم ركابـي

فإن كان الذي أهدي يسيرا

ففيض الود أكمل في النصاب

أيها الأخ المبارك المحب الحبيب، أيها الابن الأديب الأريب النجيب : أحضر معي القلب، وأشغل الفكر، وأعرني السمع، واجمع حواسك :

اقرأ بتمعن وروية ، أسأل الله ﷻ أن ينفعني وإياك بما نقرأ .

إليك رسالة « يحتاج إليها الكبير والصغير ، والرجل والمرأة ، لا سيما في هذا الزمان الذي تكاثرت فيه الفتن ، وصار الإنسان يستطيع أن يصل إلى المنكر وهو في قعر بيته دون أن يشعر به أحد ، وصار الإنسان يستطيع أن يطوف في أنواع الضلالات والشبهات ، وينظر في العقائد الفاسدة والمواقع والقنوات التي تبث الشبهات ؛ فتضلل الناس ، وتشكك الإنسان في عقيدته ودينه وهو

في بيته ، بعد أن كان الناس لا يستطيع الواحد منهم أن يصل إلى مطلوبه من ذلك إلا بألوان الاحتيال والصعوبات ، ولربما تعجزه وتقعده الحيلة فلا يستطيع أن يحقق مطلوبًا لنفسه الذي تشتهي وتهوى ، واليوم أيها الأحبة لا عاصم من أمر الله إلا من رحم ، يجلس المرء وهو في بيته يمكن أن يفعل ما يشاء ، ينظر إلى ما يشاء ، بل يمكن لهذا الإنسان أن يمارس كل ما لا يرضاه الله تبارك وتعالى دون أن يشعر بذلك أحد من الناس ، أصبحنا أيها الأحبة نتقلب في فتن تجعل

الحليم حيرانًا ، في حين أصبح كثير ممن جاوزوا سن ما يسمى بالمراهقة عادوا بعد ذلك إلى حال كان يجب أن ينزهوا أنفسهم عنها بعد اكتمال العقل والنضج ، وصار له من الذرية ما يكون حاجزًا من أن ينظر أو أن يفعل ما لا يليق ، خوف العواقب السيئة ، التي لربما نزلت بأهل بيته ، حتى كثرت الشكاية من الزوجات على الأزواج ، انتكس كثير ممن كان يرتاد المساجد ، ويظهر عليه سيما الصالحين انتكس على عقبه ؛ والسبب أنه عرض نفسه للفتنة أولاً ، فلم ينجو

منها آخرًا ، ولذلك فإن في مثل هذه الأوقات أيها الأحبة لا بد من الحديث عن مراقبة الله ﷻ ، وأن نكرر هذا الحديث يعظ به الإنسان نفسه حينما يتحدث ، ويعظ به إخوانه ، ويتردد ذلك في مجالسنا حينًا بعد حين ، فإن هذه القلوب يحصل لها ما يحصل من أنواع الغفلة شرود ، وقد ركبت في النفوس محبة الشهوات ، كما أن الفتن خطافة ، وقد يحمل الإنسان حب الاستطلاع على أن يرد موارد الهلكة ، فتعلق الشبه في قلبه ثم لا يستطيع بعد ذلك الخلاص منها ، وأعرف من

هذا أمثلة كثيرة ، فنسأل الله ﷻ أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، وأن يحفظنا وإياكم وجميع المسلمين من كل بلاء ومكروه »[١] .

فلان من الناس منّ الله عليه فالتزم وصار يتنقل بين الطاعات ، من فروض وسنن وواجبات ، وهجر حياة المعاصي والذنوب والموبقات ، ولكن لا يزال الشيطان يراوده ويأتيه بين الأوقات ، وأكثر ما يكون ذلك في الخلوات ، فيوسوس له

(١) من محاضرة قيمة بعنوان : مراقبة الله ، لخالد السبت - بتصرف يسير - .

بمشاهدة أو سماع أو قول الحرام ، أو يزين له فعله ، ولأنه عنده من ضعف المراقبة لله الذي يرى في الخلوات ما عنده ؛ يقع في الفخ الذي نصبه له إبليس ، ونفسه الأمارة بالسوء ، فيقع في الذنب ، ولأن الله وضع في قلبه خيرًا يعود فيندم فيتوب ، ولكن لما يختلي بالله مرة أخرى يزين الشيطان له فعل الذنب ، فيعود ويتكرر منه الذنب ، وهكذا يختلي يذنب . . يندم يتوب . . يختلي يذنب . . يندم يتوب . . .

الآن تذهب إلى بلاد الغرب ، تدخل إلى

محل تجاري كبير ، فيه بضائع بالمليارات ، لكن هذا المحل مراقب تلفزيونيًا ، انضباط مذهل ، يقول لك : الطريق مراقب فيه رادار ، كانت السرعة مئة وعشرين الآن ستين ، هذه نماذج من حياتنا اليومية ، إنسان أقوى منك ، واضع جهاز تصوير في الطريق ، وإذا ضبطك بسرعة تفوق السرعة المحددة ستدفع عشرة آلاف ، وهناك مخالفات لله بمئات الألوف ، والإنسان إذا شعر أن إنسانًا يراقبه يختلف الأمر اختلافًا كليًا ، إذا قيل : إنك مراقب ، أو إن هاتفك مراقب ، تضبط

كلامك إلى درجة متناهية ، فكيف إذا شعرت أن الله يراقبك ؟

وإليك نموذج واحد من نماذج كثيرة من القصص ستأتي :

- رن هاتفه المحمول . . . فأجاب . . فإذا بفتاة جميلة الصوت على الهاتف . . تسأله عن أحواله ، لكنه لم يعرفها . . فسألها معتذرًا : من تكونين ! . . فأجابت : أنا فتاة جميلة ، وبنت حسب ونسب ، وأود التعرف عليك . . . فسكت قليلاً . . . ثم قال : . . . لكن الهاتف مراقب !! . . .

فسألته مستغربة : مراقب من قبل من ؟ هل من قبل المؤسسة التي تعمل بها ؟ فأجابها : لا . هل الهاتف مراقب من قبل المخابرات . . . ؟ فأجابها : لا . إذًا الهاتف مراقب من قبل أمن الدولة قالتها ضاحكة! . . . !! فأجابها : الهاتف مراقب من قبل الله الواحد الديان ..!!! فمن ساعتها أغلقت الهاتف . . . ولم تعد لهذا الفعل أبدا ! .

ألا يستحي الإنسان أن ينضبط مع إنسان من بني جلدته ؛ لكونه أقوى منه ، ولا ينضبط مع خالق السموات والأرض؟ .

كم يراقب الإنسان الآخرين ، وينسى مراقبة رب العالمين ، وكم يراقب العبدُ العبيد . . . وينسى الإله المعبود ، فيخجل البعض ، ويكف الآخر ، ويندم ثالث ، ويعتذر رابع ، ويبكي خامس . . . هذا كله عندما يعلم ويحس بأنه مراقب من قبل مخلوق مثله ، فكيف إذا علم وتيقن بأن العليم الخبير ﷻ مطلع عليه ويراه ، قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ ﴾ [الشعراء : ٢١٧ - ٢١٨] يراك في فراشك ، يراك في بيتك ، يراك مع إخوانك ،

يراك في بيعك وشرائك ، يراك في علاقاتك ، يراك في سفرك وفي حضرك ، يراك في كل شؤونك . ماذا ينبغي أن تكون حالك معه؟ !!!

لذا جاءت هذه الرسالة لتقوي جانب المراقبة لله ﷻ .

عبد الله : اعلم أن من صفات الله : الرقيب القريب ، الشهيد السميع البصير الخبير العليم ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ ﴾ [النساء : ١] ، ويقول ﷻ : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ ﴾ [المائدة : ١١٧] ،

ويقول ﷻ : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٥٢] ، ويقول ﷻ : ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [البروج : ٩] . يقول الإمام السعدي ؒ تعالى : الرقيب والشهيد ؛ اسمان مترادفان لله ﷻ ، وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بالمسموعات ، وإحاطة بصره ﷻ بالمبصرات ، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية – وهو الرقيب على ما دار في الخواطر ، وما تحركت به اللواحظ . فما بالك بالفعال الظاهرة بالأركان . ولهذا كانت المراقبة من أعلى أعمال القلوب هي

التعبد لله باسمه الرقيب - والشهيد ، فمتى علم العبد أن حركاته الباطنة والظاهرة قد أحاط بها الله علمًا - واستحضر ذلك العلم في كل أحواله ؛ أوجب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر يبغضه الله ، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط ربه عليه ، فتعبد له بمقام الإحسان « **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » .

معنى المراقبة : دوامُ علمِك بأن الله لا يخفى عليه شيءٌ من أمرك .

المراقبة هي : دوام علم العبد ، وتيقنه باطلاع

الحق سبحانه على ظاهره وباطنه .

قال ابن المبارك لرجل : راقب الله تعالى ، فسأله عن تفسيرها فقال : كن أبدًا كأنك ترى الله ﷻ .

قال محمد بن علي الترمذي : اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك .

وقال أبو حفص لابن عثمان النيسابوري : إذا جلست للناس فكن واعظًا لقلبك ونفسك ، ولا يغرنك اجتماعهم عليك ؛ فإنهم يراقبون ظاهرك ، والله يراقب باطنك .

قال شاه الكرماني : من غض بصره عن المحارم ، وأمسك نفسه عن الشهوات ، وعمر باطنه بدوام المراقبة ، وظاهره باتباع السنة ، وتعود أكل الحلال ، لم تخطئ فراسته .

هل قرأت القرآن ومرّ بك قوله ﷻ : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] هل تفكرت في هذه الآية ؟ أسمعت أيها الإنسان ؟ أسمعت أيها المسكين؟ إنها رقابة شديدة ، دقيقة رهيبة ، تطبق عليك إطباقًا شاملاً كاملاً ، لا تُغفل من أمرك دقيقًا ولا جليلاً ، ولا تفارقك

كل نفَس معدود ، وكل هاجسة معلومة ، وكل لفظ مكتوب ، وكل حركة محسوبة في كل وقت وكل حال ، وفي أي مكان عندها قل ما شئت ، وحدث بما شئت ، وتكلم بمن شئت ولكن اعلم أن هناك من يراقبك ، اعلم أن هناك من يسجل ، وأنه يعد عليك الألفاظ ؛ ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ ﴾ [ق : ١٧ – ١٨] .

الورقة تسقط بعلمه ، الهمسة تهمس بعلمه ، الكلمة تقال بعلمه ، القطرة تنزل بعلمه ، النية

تعقد بعلمه ، الخطوة تنقل بعلمه ، النجوى عنده جهر ، والسر لديه علانية ، والخافي لديه مكشوف .. تتستر الصدور بخواطر وواردات ومقاصد ونيات ، لا ينفذ إليها سمع ، ولا يصل إليها بصر ، فيطلع عليها الحكيم العليم ..

يقول ﷻ : ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٤] . كلما هممت بمعصية أو غلبتني شهوة أو غرتني نفسي الأمارة بالسوء فأوقعتني في شباك الهوى .. طالعت قول ربي في آية الكرسي ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٤] فاضطرب

فؤادي ، وارتجفت أوصالي ، وتزلزلت جوارحي . . ويحك يا نفس . . أتدرين من يراقبك ؟ من يطّلع على ظاهرك وباطنك ؟ إنه الله ﷻ : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر : ١٩] يا الله ! حتى خائنة الأعين ! الخائنة التي يظن الإنسان أنه وحده الذي يحسها ويعرفها ، وألا أحد في الوجود كله يراها أو يفهمها ؟ إنه لشعور رهيب ، أن تحس فجأة بأنك موضوع تحت المراقبة . . المراقبة الدقيقة التي لا تترك صغيرة من عملك ، ولا كبيرة إلا أحصتها وسجلتها عليك .

﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [العلق : ١٤] .

آية عظيمة في أول سورة نزلت في القرآن ، وهي سورة العلق .

هذه الآية تهزُّ الوجدان ، وتفعل في النفس ما لا تفعله سلطات الدنيا ، ولا أحدث المقتنيات في عالم المخابرات .

آية تضبط النوازع ، وتكبح الجماح ، وتدعو إلى إحسان العمل ، وكمال المراقبة .

وقد جاءت بهذا البيان المعجز الذي لا تصل إليه قوة بشر .

جاءت بهذا التعبير الواضح مُبيِّنَةً عما تحتها من معنى ، جاءت بصيغة الاستفهام : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝ ﴾ . وتحت هذه الآية من اللطائف والأسرار الشيءُ الكثير ؛ ففيها إشارة إلى وجوب المراقبة ، وفيها تهديد لمن يتمادى في الغيّ ، وفيها تلويح إلى وجوب الإقصار عن الشر ، وفيها تلميح إلى أن اطلاع الله ﷻ على الخلائق أمر فطريّ لا يحتاج إلى دليل ، وفيها تعريض بغباوة من يجهل هذه الحقيقة ، أو يكابر في شأنها . فيا الله ما أجمل أن يستحضر كلُّ أحدٍ هذه الآية إذا

امتدت عينه إلى خيانة ، أو يده إلى حرام ، أو سارت قدمه إلى سوء ! .

وما أروع أن تكون هذه الآية نُصْبَ أعيننا إذا أردنا القيام بما أنيط بنا من عمل ! .

وفي هذا سرٌّ بديعٌ ، ودرسٌ عظيمٌ ، تُفِيد منه الأمةُ بعامة ، ويفيد منه الأفرادُ بخاصة ؛ فواجب على المصلحين وقادةِ الأمم أن يتنبهوا لهذا المعنى ، وأن يحرصوا على إشاعته في الناس ؛ ذلكم أنَّ وازعَ الدين والمراقبة لرب العالمين يفعل في النفوس ما لا يفعله وازعُ القوةِ والسلطان ؛ فإذا أَلِفَ المرءُ

أن يراقب ربه ، ويستحضر شهوده واطلاعه عليه - فإنَّ المجتمعَ يأمنُ بوائقه ، ويستريحُ من كثير من شروره .

أما إذا كان الاعتماد على وازعِ القوة ، وحارسِ القانون - فإن القوةَ قد تضعف ، وإن الحارسَ قد يغفُل ، وإن القانون قد يُؤَوَّل ، وقد يُتَحايلُ للتخلص من سلطانه .

لذلك تكثر الجرائم والمفاسد إذا قلّت التربية الدينية في مجتمع ما ، فإذا أشعنا هذا المعنى في الناس ، وعَمَدَنا إلى تربيتهم بأسلوب الدين

والفضيلة ؛ أرحنا واسترحنا ، ووفَّرنا جهودًا كبيرة ، وقد تكون ضائعة في غير ما فائدة ؛ فالمراقبة حارسٌ قويٌّ يمنع الإنسانَ من التفكير في الجرائم والشرور .

فلا عجب - إذًا - أن تكون هذه الآية في أول سورة نزلت مِن القرآن الكريم ؛ لكي يكون المؤمن على ذُكْرٍ من هذا المقام العالي الذي إذا تَمَثَّلَه كان في قبيل المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه ، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم . وتلك هي مرتبة الإحسان التي هي أعلى مراتب الدين .

تأمل قول المولى ﷻ : ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ ﴾ [البلد : ٧] ، وقوله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝ ﴾ [العلق : ١٤] أي موعظة هذه التي تقول للمرائي : قف ! وللزاني : عف ! وللسارق : كف ! ولكل عاص : خف ثم خف أما تستشعر نظر من لا يخفى عليه شيء جل أو لطف ؟

* عندما تريد أن تعصي الله . . . تذكر قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝ ﴾ [العلق : ١٤] .

* عندما تنام عن الصلاة . . . تذكر قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝ ﴾ [العلق : ١٤] .

* عندما تعتقد أن لا أحدًا يراك . . . تذكر قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق : ١٤] .

* عندما تنتهك محارم الله في خلوتك . . تذكر قول الله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق : ١٤] .

* عندما تريد النظر إلى ما حرَّم الله . . تذكر قول الله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق : ١٤] .

* عندما تريد أن تفكر في فعل ذنب . . . تذكر قول الله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾

[العلق : ١٤] . وتذكر دائمًا وأبدًا ... ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق : ١٤] .

عبد الله إن تمام وكمال مراتب الدين : « **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » ، ولما سأل رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام ما الإيمان ؟ قال : « **الإيمان أنْ تُؤْمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله ، وتؤمن بالبَعْث** » ، قال : ما الإسلام ؟ قال : « **الإسلام أن تعْبد الله ولا تشرِك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة المفْروضة ، وتصوم رمضان** » ، قال : ما الإحْسان ؟ قال : « **أنْ تعْبد**

الله كأنك تراه ، فإنْ لمْ تكنْ تراه فإنه يراك » [متفق عليه] .

يا له من معنى عظيم كبير ، قال أهل العلم : وتضمن الإحسان حالتين ، أرفعهما أن يغلب عليه مشاهدة الحق ﷻ بقلبه حتى كأنه يراه بعينه وهو قوله : « **كأنك تراه** » أي وهو يراك ، والثانية أن يستحضر أن الحق مطلع عليه يرى كل ما يعمل وهو قوله : « **فإنه يراك** » ، وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة الله وخشيته .

وقال الإمام المناوي في معنى « كأنك تراه » :

« بأن تتأدب في عبادته كأنك تنظر إليه ، فجمع بيان المراقبة في كل حال ، والإخلاص في سائر الأعمال .

ويقول حافظ الحكمي : وثالثٌ : مرتبة الإحسان ، وتلك أغلاها لدى الرحمن : وهي رسوخ القلب في العرفان ؛ حتى يكون الغيب كالعَيان .

معاشر المسلمين : حقًا لو استشعرنا هذا المعنى العظيم الجليل في كل أحوالنا . . في كل سكناتنا . . في كل حركاتنا . . في معاملاتنا . . في

عبادتنا . . في علاقاتنا . . في كلماتنا . . في أقوالنا . . في أفعالنا لحققنا أثر الإحسان .

يا عبد الله ما ظنك برجل يعلم أن الله يراه ما هي صلاته . . كيف سيكون خشوعه وخشيته . . كيف ستكون سكينته وطمأنينته . . كيف سيكون تدبره و تفكره ، جاء في صحيح الجامع : « صل صلاة مودع كأنك تراه ، فإن كنت لا تراه فإنه يراك » .

يا عبد الله . . ما ظنك برجل يعلم أن الله يراه . . ماذا يفعل في خلوته . . عندما تسدل

الستر . . وتغلق الأبواب . . هل يقدم على معصية ربه . . ؟! هل ينتهك حرمته . . ؟! .

يا عبد الله : ما ظنك برجل يعلم أن الله يراه . . هل يغتاب أحدًا ؟ . . هل يكذب على أحد . . ؟ هل يهمز ويلمز ؟ . . هل يسب ويشتم . . ؟ .

يا عبد الله ما ظنك برجل يعلم أن الله يراه . . كيف هو في معاملاته ، هل يرتشي . . ؟ هل ينافق . . ؟ هل يحقد . . ؟ هل يحسد . . ؟ هل يغش . . ؟ لا . . وألف لا . . فقد صدحت بها أَمَةُ الله قبل أربعة عشر قرنًا تلك المرأة الصالحة ، التي رأت

أمها تغش اللبن بالماء . . فقالتها . . وأعلنتها : يا أماه إن كان عمر لا يرانا فرب عمر يرانا .

يا عبد الله ما ظنك برجل يعلم أن الله يراه . . ما مدى مراقبته لله . . ما مدى خوفه من الله . . ما مدى استشعاره لعظمة الله . .

جاء رجل في ظلمة الليل ، يريد أن يفعل فاحشة بامرأة لا حول لها ولا قوة ، قال لها – وقد نسي أن الله يراه – : لا يرانا إلا الكواكب ، فقالت المرأة تذكره وتعظه وهو قريب من الحرام : (فأين مكوكبها ؟!) أين الله ؟ فقام الرجل بعد أن تذكر

الحقيقة أن الله يراه ، ولم يستمر في الذنب ، وعاد وتاب - وسيأتي ذكرهما - .

﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [العلق : ١٤] لو وضع كل منا هذه الآية أمام عينيه ، لصلح حال الأمة ؛ لأنه سيراقب الله في كل شيء ولا يراقب البشر ، فالرقيب البشري قد يغفل وقد يضعف وقد يتحايل عليه ، أمَّا رب البشر فتعالى عن ذلك ، فليراقب كل منا ربه في عمله وأهله وماله .

اعلم عبد الله أن رقابةَ البشرِ على البشرِ قاصرة ، وأن رقابةَ المخلوقاتِ على بعضها

قاصرة . البشرُ يغفل ، والبشرُ يسهو ، ينام ، يمرض ، يسافر ، يموت .

إذًا فلتسقطُ رقابةَ المخلوقين ، ولتسقط رقابة الكائنات جميعَها ، وتبقى الرقابةُ الكاملة ، الرقابةُ المطلقة ، ألا وهي رقابةُ الله جل وعلا ، الذي يعلم ما ينطوي عليه قلبك ولو بعد مائة عام ، وأنت لا تعلم ما ينطوي عليه قلبك بعد دقائق أو ساعات . إنه العلم الكامل ، إنه العلم الكامل المطلق ، علم الله السميع العليم ، العليم الخبير . ما تسرون ويعلم وما تعلنون ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى

ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر : ١٩] .

يا مرتكبَ المعاصي مختفيًا عن أعين الخلق أين الله ؟ ما أنت والله إلا أحدُ رجلين :

فإن كنت تظن أن الله يراك ، وتعصيه في الخلوات ، وتجتهد في غلق الأبواب بعيدًا عن عيون البشر ، فكفاك سخرية بالله ، فقد جعلته أهون الناظرين إليك ، فمن أحق بالخشية الخالق أم المخلوق ؟! . . إن ربك لبالمرصاد ، أي يراقب أعمال عباده ويرصدها ؛ ليجازيهم عليها .

وإن كانت الأخرى ، وهي أن تعصي الله ؛

ظنًا منك أنه لا يراك ، فلقد اجترأت على عظيم ، فقد كفرت ، وهذا أمر من أمور العقيدة .

قال حميد الطويل لسليمان بن علي : عظني فقال : (لئن كنت إذا عصيت الله خاليًا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ، ولئن كنت ظننت أنه لا يراك فقد كفرت) .

يا مسلم استح من الله وأجله وعظمه ، وتيقن بأن الله يراك ن يراقبك في حركاتك وسكناتك ، فوقره وقدره حق قدره .

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله

عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال : « **احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك** » فقال الرجل : يكون مع الرجل ، قال : « **إن استطعت ألا يراها أحد فافعل** » قال : والرجل يكون خاليًا قال : « **فالله أحق أن يستحيا منه** »[1] .

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : أوصني ، قال : « **أوصيك أن تستحيي من الله ﷻ كما تستحيي**

(١) أحمد (٥/ ٣) رقم (٢٠٠٤٦) ، وأبو داود (٤/ ٤٠) ، والترمذي (٥/ ٩٧) رقم (٢٧٦٩) ، وابن ماجه (١/ ٦١٨) ، وحسنه الألباني في آداب الزفاف ، ص (٣٤) .

من الرجل الصالح من قومك »(١) .

قال ابن جرير : هذا أبلغ موعظة ، وأبين دلالة بأوجز إيجاز ، وأوضح بيان ؛ إذ لا أحد من الفسقة إلا وهو يستحي من عمل القبيح عن أعين أهل الصلاح ، وذوي الهيئات والفضل أن يراه وهو فاعله ، والله مطلع على جميع أفعال خلقه ، فالعبد إذا استحى من ربه استحياءه من رجل صالح من قومه ؛ تجنب جميع المعاصي الظاهرة

---

(١) صحيح الجامع (٢٥٤١) .

والباطنة ، فيا لها من وصية ما أبلغها ، وموعظة ما أجمعها .

وقال ﷺ : « إن الله ﷻ حليم ، حيي ، ستير ، يحب الحياء والستر ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر »[١] .

يقول عبد الله بن عمر : « لا يجد عبد صريح الإيمان حتى يعلم بأن الله تعالى يراه فلا يعمل سرًا يفتضح به يوم القيامة » .

قيل لبعضهم : بم يستعان على غض البصر ؟

(١) صحيح النسائي .

قال : بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى المنظور له ؛ لأن الله يحول بين المرء وقلبه عليم بذات الصدور .

عن ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال : « **لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا فيجعلها الله ﷻ هباءً منثورًا** » قال ثوبان : يا رسول الله صِفهم لنا ، جلِّهم لنا ألاّ نكون منهم ونحن لا نعلم ، قال : « **أما إنهم إخوانكم ، ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله**

انتهكوها »[١].

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه : « إن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر » .

وتأمل قوله تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النساء : ١٠٨] تجد أحدهم يرى من يوقره ، فيلقي

---

(١) رواه ابن ماجه ، وصححه الألباني .

السيجارة من يده ، وينسى أن الله يراه ، يرى من يوقره فيتوارى وهو على الذنب ، ويواجه الله بالمعصية بلا حياء . وقوله سبحانه : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن : ٤٦] قال غير واحد من السلف : هو الرجل يهم بالمعصية ، فيذكر الله فيدعها من خوفه .

تذكر في كل لحظة تعيشها أن الله العظيم الجبار ، الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ؛ يراك ويطَّلِعٌ عليك ، فلا تجعل الخالق ذا العزة والجلال ، الكبير المتعال ، ذي الملك

والملكوت والعظمة والجبروت ، والحي الذي لا يموت ، الواحد القوي القهار ، الذي يسبحه الكون كله ، والذي الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، الذي بيده مقاليد السموات والأرض أهْوَنَ الناظرين إليك .

نحن عندنا معاصي كثيرة نرتكبها في حق الله ﷻ أو في حق خلقه لكن هل يمكن في كثير من الأحايين أن نرتكب هذه المعاصي أمام الناس أن نعلن هذه المعاصي أمام الناس هناك عشرات المعاصي . .

لو أعطينا فيها مئات الملايين على أن ترتكبها أمام الناس لما ارتكبناها لماذا ؟ ؛ لشدة تعظيمنا لهؤلاء الناس ، لشدة حيائنا من هؤلاء الناس ، لشدة خشيتنا من هؤلاء الناس ، أليس الله ﷻ العظيم أحق بالتعظيم ؟! فقمة الحياء « **الحياء من الله** » .

إذا ما خلوْتَ الدّهرَ يوْمًا فلا تَقُلْ
خَلَوْتَ ولكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ
ولاَ تحْسَبَنَّ اللهَ يغفِلُ ساعة
وَلا أنَّ مَا يخفَى عَلَيْهِ يغيب

هَوْنَا لَعَمرُ اللهِّ حتى تَتابَعَتْ

ذُنوبٌ على آثارِهِنَّ ذُنُوبُ

فَيا لَيتَ أنَّ الله يَغفِرُ ما مضَى

ويأذَنُ فِي تَوْباتِنَا فنتُوبُ

إذَا ما مضَى القَرْنُ الذِي كُنتَ

وخُلِّفْتَ في قَرْنٍ فَأنْت غريبُ

وإنَّ امرءًا قَدْ سارَ خمسِينَ حِجَّة

إلى مَنْهلٍ مِنْ وردِهِ لقَرِيبُ

نَسِيبُكَ مَنْ ناجاكَ بِالوُدِّ قَلبُهُ

ولَيسَ لمَنْ تحتَ التّرابِ نَسيبُ

فأحْسِنْ جَزاءَ ما اجْتَهَدتَ فإنّما
بقرضِكَ تُجْزَى والقُرُوضُ ضُروبُ
وإذا خلوت بريبة في ظلمة
والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها
إن الذي خلق الظلام يراني

وإليك نماذج ناصعة ساطعة ، وقصص رائعة فائقة في المراقبة تمتاز هذه القصص أنها تحرك الهمم ، وتقوي القلب ، بل يقال إن القصص تحرق المعاصي إحراقًا . وقد قال ابن

عيينـة : « عند ذكر الصالحيـن تتنـزل الرحمة » .
وقال محمد بن يونس : « ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحيـن » .

وعليك التأمل في مواقف السلف الإيمانية في رقابتهم لله ، ففيها عبرة ودرس ، وتبصرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو :

- منها : قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ، شاب يمتلئ قوة وشبابًا وشهوة ، تدعوه امرأة ذات منصب وجمال وفي حال خلوة ، بعيدًا عن أعين الناس لا رقيب عليهما من البشر ، لا يخاف

شرطة ولا هيئة ، ولا يخاف من أهلها وأقاربها ، بل وتدعوه هي ، لم يحتج إلى التفكير في صلة لإيقاعها في المعصية ، فكل شيء مهيأ ، لم يتصل عليها ويعاكسها ويواعدها ، ولم يتعرض لها في السوق ، لم يسافر لأجلها بل هي التي تعرضت له ، وتهيأت له ، وهيأت له أسباب المعصية . ومع ذلك كله يقول إني أخاف الله ، ما الذي حمله على ذلك وهو في الخلوة ، إنها مراقبة الله ، تذكّر اطلاع الحق عليه فترك المعصية لله . أخي العزيز قارن بين هذه الصورة صورة العفاف

بأبهى صورة ، وصورة أخرى لشاب يتعب نفسه
في الاتصال على الناس ؛ لعله يظفر بصوت امرأة ،
فإذا ظفر به بدأ ينمق الكلام ويحسنه ؛ لعله يستطيع
إيقاعها ، ويبذل كل ما في وسعه ليحصل على
المعصية ، فإذا لم تتهيأ له في بلده جمع المال وأتعب
الجسد ، وبذل الأسباب لكي يسافر إلى بلد تتهيأ
له المعصية فيه ، بالله عليكم : كم الفرق بين
الصورتين ، كلاهما شاب نفسه توّاقة وجسمه
صحيح ، ولكن بينهما فرق في مراقبة الله تعالى ،
بينهما فرق فالأول يعلم أن الله مطلع عليه ،

ويستحضر هذا العلم في خلواته ، بينما الآخر علمه علم نظري لم يستفد منه في التطبيق .

- وحُكِيَ أن (زليخا) لما خلت بيوسف عليه السلام قامت فغطت وجه صنم لها ، فقال يوسف عليه السلام : مالك ؟ أتستحين من مراقبة جماد ولا أستحي من مراقبة الملك الجبار .

- ومن تلك النماذج : الثلاثة الذين سدت عليهم الصخرة الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، وفي الحديث أن الثاني قال : اللهم كانت لي ابنة

عم ، كانت أحب الناس إليّ ، فأردتها على نفسها فامتنعت مني ، حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ، ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها ، وهي أحب الناس إلي ، وتركت الذهب الذي أعطيتها . . إلخ الحديث .

فهذا الذي دفعه إلى ذلك ، أنه ذُكِّر بالله فتذكَر مراقبة الله له ، فترك المعصية .

- ومن تلك النماذج : السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ثلاثة منهم ظهرت المراقبة لله ﷻ في أعمالهم أشد ، حيث فعلوا هذه الأفعال التي أوصلتهم لتلك المنزلة بسبب مراقبتهم لله ﷻ ، فالرجل الذي ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه ، ما الذي حمله على هذا ما الذي جعله يبكي في مكان لا يراه فيه أحد ، ولا يطلع عليه فيه إلا الله ، إنها مراقبة الله ، إنها تذكر ما عند الله ، وكذلك الذي دعته امرأة ذات منصب وجمال ؛ عصمه من الزنا تذكره لمراقبة الله

له ، والثالث رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، لقد تصدق بالسر لأنه يعلم اطلاع الله عليه ، وأرادها لله ولم يراع فيها أحدًا ، ولم يأبه لسمع أحد أو بصره ، ما دام أن خالقه ﷻ يراه .

- وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول : والله إني لأضع ثوبي على وجهي في الخلاء حياء من الله .

- وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه لا يغتسل واقفًا ، وإنما يغتسل جالسًا حياء من الله .

- ويقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : (إني لأدخل البيت المظلم أغتسل فيه من الجنابة ، فأحني فيه ظهري إذا أخذت ثوبي حياءً من ربي) .

وجاء عنه أنه كان له تبانٌ ينام فيه ؛ مخافةَ أن ينكشف ، هؤلاء يستحيون من الله أن يراهم في شيء مباح ، فكيف في شيء محرم ؟! .

وهو نفس ما درج عليه السابقون الأولون من سلف هذه الأمة الصالح وها هي آثارهم لتهتدي بهم .

- عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يعسُ ليلةً من

الليالي ويتتبع أحوال الأمة ، وتعب فاتكاءَ على جدارٍ ليستريح ، فإذا بمرأةٍ تقولُ لابنتها : أمذقي اللبنَ بالماءِ ليكثرَ عند البيع . فقالت البنتُ : إن عمرَ أمرَ مناديه أن ينادي أن لا يشابُ اللبنَ بالماء . فقالتِ الأم : يا ابنتي قومي فإنك بموضعٍ لا يراكِ فيه عمرُ ولا مناديه . فقالتِ البنتُ المستشعرةُ لرقابةَ الله : أي أماه فأين الله !! والله ما كنتُ لأطيعَه في الملا ، وأعصيه في الخلاء .

- ويمرُ عمرُ بامرأة أخرى ، تغيَّبَ عنها زوجها منذ شهور في الجهاد في سبيل الله ﷻ ، قد

تغيبت في ظلمات ثلاث ، في ظلمة الغربةِ والبعد عن زوجها ، وفي ظلمة الليل ، وفي ظلمة قعر بيتها ، وإذا بها تنشد وتقول وتحكي مأساتها :

تطاول هذا الليـل وازور جانبـه
وأرقني أن لا خليـل ألاعبـه
فـوالله لـولا الله لا رب غـيره
لحرك من هذا السرير جوانبه

ما الذي راقبته في ظلام الليل وفي بعد عن زوجها ، وفي هدأت العيون ؟

والله ما راقبت إلا الذي لا يخفى عليه شيء

في الأرض ولا في السماء .

أنعم بها من مراقبة ، وأنعم بها من امرأة .

- وأعرابية أخرى يراودها رجل عن نفسها - كما أورد ابن رجب - ثم قال لها :

ما يرانا أحد إلا الكواكب . فقالت : وأين مكوكبها ، يا رجل ؟ حالُها أين الله يا رجل ؟

- وقال محمد بن إسحاق : (نزل السَّرِيُّ ابن دينار في درب بمصر ، وكانت فيه امرأة جميلة فتنت الناس بجمالها ، فعلمت به المرأة ، فقالت : لأفتنّنه ؛ فلما دخلت من باب الدار

تكشفت وأظهرت نفسها ، فقال : مَالَكِ ؟!

فقالت : هل لك في فراش وطي ، وعيش رخي ؟

فأقبل عليها وهو يقول :

وكم ذي معاص نال منهن لذة
ومات فخلاّها وذاق الدواهيا
تصرمُ لذّات المعاصي وتنقضي
وتبقى تِباعاتُ المعاصي كما هيا
فيا سوءتا والله راءٍ وسامع
لعبدٍ بعين الله يغشى المعاصيا

- قال عبد الله بن دينار : خرجت مع عمر

ابن الخطاب إلى مكة فعرسنا ببعض الطريق ، فانحدر علينا راع من الجبل ، فقال له عمر : يا راعي بعنا شاة من هذه الغنم ؟ فقال الراعي : إنه مملوك ، فقال له عمر : قل لسيدك أكلها الذئب ، فقال العبد : أين الله ؟ فبكى عمر وغدا على سيد الراعي فاشتراه وأعتقه .

كلما راودتك نفسك بالمعاصي والشهوات ، عليك بترديد بعض العبارات ، وهي : الله مطلع علي . . الله يراني إني أخاف الله رب العالمين ، أين الله ؟ أين الله ؟ .

- الحارس المبارك : كان (المبارك) رجلاً صالحًا تقيًا . . وكان يعمل حارسًا لبستان أحد الأغنياء ، وظل في عمله فترة . . . حتى جاء يوم . . . جاء فيه صاحب البستان ومعه بعض أصحابه ، وطلب صاحب البستان من المبارك أن يحضر لضيوفه بعض الثمر . . . فأحضر المبارك بعض الثمر وقدمها للرجل وضيوفه . . . وكانت المفاجأة أنها كلها كانت حامضة !! فقال صاحب البستان منزعجًا : ما هذا يا رجل ؟! أردت إحراجي أمام ضيفي فجلبت ثمرًا حامضًا !! فقال

المبارك : وكيف لي أن أعرف أن الثمر حامضًا ؟!
فقال صاحب البستان : ألا تعرف الفرق بين الثمر الحامض والثمر الطيب ؟ فقال المبارك : نعم ، لا أعرف يا سيدي ، فاستغرب صاحب البستان وقال : تعمل كل هذه المدة في البستان ولا تعرف الفرق !! ألم تأكل يومًا من ثمره ؟!
فقال المبارك : لم آكل من ثمر البستان منذ عملت فيه ، فلقد استعملتني للحراسة ولم تأذن لي بالأكل من ثمره . . . فتعجب صاحب البستان من رد المبارك ومضى . . . ولكن إجابات الحارس الأمين

أثّرت في صاحب البستان ، فعمد إلى جيران البستان يسألهم عن المبارك ، فأثنوا عليه خيرًا ، وتكلموا في ورعه وتقواه ، وبعد عدة أيام جاء صاحب البستان إلى البستان وقال للمبارك : إني مستنصحك في أمر . . . فقال المبارك : وما هو ؟ فقال صاحب البستان : لي ابنة شابة حبيبة إلى قلبي ، قد تكاثر خطابها ، فبرأيك من أزوجها ؟! فقال المبارك : يا سيدي إن العجم يزوجون للجمال ، وإن العرب يزوجون للنسب ، وإن المسلمين يزوجون للدين ، فاختر لها ما شئت ،

فصمت الرجل برهة ثم قال : وأنا سأزوجها للدين . . . وأخطبك أنت لها . . . فتزوجا ، وبارك الله لهما ، وأنجبا ولدًا نجيبًا ، سمياه عبد الله . . . . فكان (عبد الله بن المبارك) من مؤسسي علم الحديث . . . .

- عندما أراد شاب فعل الفاحشة مع امرأة بغي ارتعد وخاف ، وتلون وجهه ، فقالت له البغي : ما لك ؟ فقال : تذكرت قول الله : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن : ٤٦] فقالت له : أسبق لك أن فعلت فاحشة ؟! قال : لا ،

قالت : أنت لأول مرة وخفت من الله ، فكيف بي مرارًا وتكرارًا !! فأنا أحوج بالخوف من الله منك ، فتابت إلى الله .

– شاب اتصلت عليه فتاة عابثة في منتصف الليل ، وهو في غرفته وحيدًا فريدًا ، أتدري ما قال لها ؟ قال بنبرة حزينة : ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنعام : ١٥] إنه لم يخف الفضيحة من الناس ، ولم يخف من رجال الأمن والهيئات ، بل خاف من ربه الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وكررت تلك

الفتاة الاتصال فقال لها وهو يبكي : أخاف نارًا لا يخبو سعيرها ، ولا يخمد لهيبها فبكت وتابت .

- هناك قصة لرجل ، وقصته كتبت في عدة كتب ، كان قد ظُلم في مال ، وكان مالاً كثيرًا ، والرجل لم يتحمل هذه الصدمة ، فمرض ، ويبدو أنه كان مرض الموت ، فنادى على ابنه الكبير وقال له : إن أنا مت مُر بجنازتي من أمام دكان الرجل الذي ظلمني وأكل مالي ، وأعطه هذه الرسالة ، واقرأها أمامه وأنت تسير بجنازتي ، ومات الرجل ونفَّذ ابنه الوصية بأن مَرَّ من أمام

دكان هذا الرجل وقال له : أرسل لك الميت هذه الرسالة ، كتبها قبل أن يموت ، ففتح الرسالة وقرأ : (إني قد ذهبت إلى الله وهو يعلم ما فعلته أنت بي ، فهو يراني ويراك ، وأنت ستأتي عن قريب ، موعدنا يوم القيامة لأسترد حقي) .

- إليك قصة قصيرة في مراقبة الله : رجل تزوج سرًا على امرأته ، وحدث أن علمت هذه المرأة أن زوجها قد تزوج عليها ، فلم تواجهه ، وكتمت معرفتها بسره ، وكانت قد تيقنت من هذا الأمر ، ومات هذا الرجل وترك ميراثًا ضخمًا ،

فالمرأة أرسلت لضرتها نصيبها في الميراث ، ولكن الأصعب من ذلك أن الزوجة الثانية رفضت أن تأخذ هذا المال ؛ لأن زوجها كان قد طلقها قبل وفاته ، تلك المراقبة لله .

- كان بشر الحافي يسير يومًا في طريق بغداد ، إذ رأى جماعة يجتمعون على رجل قد أمسك بامرأة يريد اغتصابها ، ويهدد ويتوعد كل من يريد الاقتراب . فاقترب منه بشر وقال له : (اعلم أن الله يراك) ، فعندها استفاق الرجل من سكرة المعصية وتاب ورجع . وإليك تفصيل

هذه القصة :

- يروى أن رجلاً في زمن السلف كان سكرانًا ، عربيدًا ، خمارًا ، يشرب الخمرة في كل وقت ، وكان بدينًا ، قوي الجسم ، دخل ذات مرة إلى السوق وبدأ يتجول ، وهو في الطريق مرت بجانبه امرأة فمسكها ، وأراد أن يفعل بها أمام الخلق والناس ، فهب الناس إليها لينقذوها وهي تصرخ بأعلى صوتها ، فلما رأى أن الناس قد قربوا منه ، أخرج خنجرًا وأشار به إلى صدر المرأة قال : إذا لم تذهبوا سوف أقتلها . . فوقف

الناس حائرين لا يدرون ماذا يصنعون . . .!
وفي هذا الوقت إذا برجل يدخل السوق ذو هيبة ووقار . . . ويمشي من جانب هذا العربيد ، ويمسك أذنه ويقول له كلمة واحدة ، وإذا بهذا العربيد ينتفض ويترعش ، ويسقط منه الخنجر ، ويبكي بكاء الطفل الرضيع . . . فهربت المرأة منه وما زال يبكي . . فقال له الناس : ما لك ؟ قال من هذا الرجل الذي مر بجانبي . . قالوا له : هذا بشر بن الحارث (الملقب بالحافي) . . قالوا : ماذا قال لك ؟ قال : قال لي كلمة هزتني ، قالوا : وما

هي ؟ قال : قال لي : إن الله يراك ، فتاب هذا الرجل توبة نصوحًا بسبب هذا الزاهد وهذه الكلمة .

- رأى أحد السلف رجلاً وامرأة في ريبة ، فاكتفى بقوله لهما : إنَّ الله يراكما ، سترنا الله وإياكم ، ذكَّرهما بهذه العقيدة التي تؤثر عليهما غاية التأثير في استقامة العمل إن كان لهما قلب .

- يحكى أن أحد اللصوص ، قرر أن يسرق شيئا من ضيعة من الضياع ، واصطحب معه ابنه ، ولما وصلا أمام باب الضيعة ، طلب من ولده أن

ينتظر أمام الباب ويصفر صفيرًا عاليًا إذا دخل أحد الضيعة ؛ حتى لا يرى السارق ، بعد برهة من دخول السارق إلى الضيعة ، صفر الولد صفيرًا عاليًا ، فخرج اللص مهرولاً من الضيعة سائلاً ولده : هل رآنا أحد ؟ فأجابه ولده : نعم ، الله يرانا . ومنذ ذلك الحين توقف اللص عن السرقة وتاب .

- حكي أن اتفق سارقان على أن يسرقا معًا ، ويقسما بينهما ما يحصلانه من أموال السرقة ، فقال أحدهما للآخر وهو أشد خوفًا من صديقه :

(يا أخي ، فما حيلتنا لو رآنا الناس ، وقبضوا علينا وسلمونا بيد الحاكم ؟!) ، فأجابه صديقه : (علينا أن لا نسرق شيئًا بمرأى من الناس ؛ حتى لا يرانا أحد ، ولا يعلم بنا إنسان) ، فذهبا ليسرقا ، وكلما صمما على شيء ، وإذا بإنسان يراهما ، فتركا ذلك ، وذهبا إلى مكان آخر ، حتى اشتد بهما الجوع ، فخرجا إلى خارج المدينة حيث البساتين والحدائق ، فقال أحدهما للآخر : (دعنا نأخذ شيئًا من هذا التين ؛ لندفع عن أنفسنا الجوع !) فأجابه موافقًا : (تعال ، اصعد الشجر ،

وأنا هنا أراقب أن لا يرانا أحد) . . . فلما صعد الآخر الشجر ، سأله ليتأكد أنه ليس هناك من يراهما . . . فقال له صديقه بعد تفكير قصير : (انزل يا أخي ، ولا تأخذ شيئًا ، فهناك من يراقبنا ويرانا) فأسرع صديقه بالنزول من الشجر ، وبدأ يهربان ويهرولان ويقول أحدهما للآخر : (لا تهرول ، ولا تسرع يا أخي ، فإن الذي يراقبنا لا ينجينا منه شيء ، وهو ما زال يعلم بنا ويرانا) فسأله متعجبًا : (ومن هو ذلك يا أخي ؟!) فأجابه : (هو الله الذي فوق رؤوسنا) .

فسألته مستغربة : مراقب من قبل من ؟ هل من قبل المؤسسة التي تعمل بها ؟ فأجابها : لا . هل الهاتف مراقب من قبل المخابرات . . . ؟ فأجابها : لا . إذًا الهاتف مراقب من قبل أمن الدولة قالتها ضاحكة! . . . !! فأجابها : الهاتف مراقب من قبل الله الواحد الديان ..!!! فمن ساعتها أغلقت الهاتف . . . ولم تعد لهذا الفعل أبدا ! .

ألا يستحي الإنسان أن ينضبط مع إنسان من بني جلدته ؛ لكونه أقوى منه ، ولا ينضبط مع خالق السموات والأرض؟ .

كم يراقب الإنسان الآخرين ، وينسى مراقبة رب العالمين ، وكم يراقب العبدُ العبيد . . . وينسى الإله المعبود ، فيخجل البعض ، ويكف الآخر ، ويندم ثالث ، ويعتذر رابع ، ويبكي خامس . . . هذا كله عندما يعلم ويحس بأنه مراقب من قبل مخلوق مثله ، فكيف إذا علم وتيقن بأن العليم الخبير ﷻ مطلع عليه ويراه ، قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [الشعراء : ٢١٧ - ٢١٨] يراك في فراشك ، يراك في بيتك ، يراك مع إخوانك ،

يراك في بيعك وشرائك ، يراك في علاقاتك ، يراك في سفرك وفي حضرك ، يراك في كل شؤونك . ماذا ينبغي أن تكون حالك معه؟ !!!

لذا جاءت هذه الرسالة لتقوي جانب المراقبة لله ﷻ .

عبد الله : اعلم أن من صفات الله : الرقيب القريب ، الشهيد السميع البصير الخبير العليم ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] ، ويقول ﷻ : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة : ١١٧] ،

ويقول ﷻ : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٥٢] ، ويقول ﷻ : ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [البروج : ٩] . يقول الإمام السعدي رحمه الله تعالى : الرقيب والشهيد ؛ اسمان مترادفان لله ﷻ ، وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بالمسموعات ، وإحاطة بصره ﷻ بالمبصرات ، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية - وهو الرقيب على ما دار في الخواطر ، وما تحركت به اللواحظ . فما بالك بالفعال الظاهرة بالأركان . ولهذا كانت المراقبة من أعلى أعمال القلوب هي

التعبد لله باسمه الرقيب - والشهيد ، فمتى علم العبد أن حركاته الباطنة والظاهرة قد أحاط بها الله علمًا - واستحضر ذلك العلم في كل أحواله ؛ أوجب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر يبغضه الله ، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط ربه عليه ، فتعبد له بمقام الإحسان **« أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »** .

معنى المراقبة : دوامُ علمِك بأن الله لا يخفى عليه شيءٌ من أمرك .

المراقبة هي : دوام علم العبد ، وتيقنه باطلاع

الحق سبحانه على ظاهره وباطنه .

قال ابن المبارك لرجل : راقب الله تعالى ، فسأله عن تفسيرها فقال : كن أبدًا كأنك ترى الله ﷻ .

قال محمد بن علي الترمذي : اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك .

وقال أبو حفص لابن عثمان النيسابوري : إذا جلست للناس فكن واعظًا لقلبك ونفسك ، ولا يغرنك اجتماعهم عليك ؛ فإنهم يراقبون ظاهرك ، والله يراقب باطنك .

قال شاه الكرماني : من غض بصره عن المحارم ، وأمسك نفسه عن الشهوات ، وعمر باطنه بدوام المراقبة ، وظاهره باتباع السنة ، وتعود أكل الحلال ، لم تخطئ فراسته .

هل قرأت القرآن ومرّ بك قوله ﷻ : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] هل تفكرت في هذه الآية ؟ أسمعت أيها الإنسان ؟ أسمعت أيها المسكين؟ إنها رقابة شديدة ، دقيقة رهيبة ، تطبق عليك إطباقًا شاملاً كاملاً ، لا تُغفل من أمرك دقيقًا ولا جليلاً ، ولا تفارقك

كل نفَس معدود ، وكل هاجسة معلومة ، وكل لفظ مكتوب ، وكل حركة محسوبة في كل وقت وكل حال ، وفي أي مكان عندها قل ما شئت ، وحدث بما شئت ، وتكلم بمن شئت ولكن اعلم أن هناك من يراقبك ، اعلم أن هناك من يسجل ، وأنه يعد عليك الألفاظ ؛ ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ ﴾ [ق : ١٧ - ١٨] .

الورقة تسقط بعلمه ، الهمسة تهمس بعلمه ، الكلمة تقال بعلمه ، القطرة تنزل بعلمه ، النية

تعقد بعلمه ، الخطوة تنقل بعلمه ، النجوى عنده جهر ، والسر لديه علانية ، والخافي لديه مكشوف . . تتستر الصدور بخواطر وواردات ومقاصد ونيات ، لا ينفذ إليها سمع ، ولا يصل إليها بصر ، فيطلع عليها الحكيم العليم . .

يقول ﷻ : ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٤] . كلما هممت بمعصية أو غلبتني شهوة أو غرتني نفسي الأمارة بالسوء فأوقعتني في شباك الهوى . . طالعت قول ربي في آية الكرسي ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٤] فاضطرب

فؤادي ، وارتجفت أوصالي ، وتزلزلت جوارحي . . ويحك يا نفس . . أتدرين من يراقبك ؟ من يطّلع على ظاهرك وباطنك ؟ إنه الله ﷻ : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝ ﴾ [غافر : ١٩] يا الله ! حتى خائنة الأعين ! الخائنة التي يظن الإنسان أنه وحده الذي يحسها ويعرفها ، وألا أحد في الوجود كله يراها أو يفهمها ؟ إنه لشعور رهيب ، أن تحس فجأة بأنك موضوع تحت المراقبة . . المراقبة الدقيقة التي لا تترك صغيرة من عملك ، ولا كبيرة إلا أحصتها وسجلتها عليك .

﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق : ١٤] .

آية عظيمة في أول سورة نزلت في القرآن ، وهي سورة العلق .

هذه الآية تهزُّ الوجدان ، وتفعل في النفس ما لا تفعله سلطات الدنيا ، ولا أحدث المقتنيات في عالم المخابرات .

آية تضبط النوازع ، وتكبح الجماح ، وتدعو إلى إحسان العمل ، وكمال المراقبة .

وقد جاءت بهذا البيان المعجز الذي لا تصل إليه قوة بشر .

جاءت بهذا التعبير الواضح مُبيِّنَةً عما تحتها من معنى ، جاءت بصيغة الاستفهام : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ . وتحت هذه الآية من اللطائف والأسرار الشيءُ الكثير ؛ ففيها إشارة إلى وجوب المراقبة ، وفيها تهديد لمن يتمادى في الغيّ ، وفيها تلويح إلى وجوب الإقصار عن الشر ، وفيها تلميح إلى أن اطلاع الله ﷻ على الخلائق أمر فطريّ لا يحتاج إلى دليل ، وفيها تعريض بغباوة من يجهل هذه الحقيقة ، أو يكابر في شأنها . فيا الله ما أجمل أن يستحضر كلُّ أحدٍ هذه الآيةَ إذا

امتدت عينه إلى خيانة ، أو يده إلى حرام ، أو سارت قدمه إلى سوء ! .

وما أروع أن تكون هذه الآية نُصْبَ أعيننا إذا أردنا القيام بما أنيط بنا من عمل ! .

وفي هذا سرٌّ بديعٌ ، ودرسٌ عظيمٌ ، تُفِيد منه الأمةُ بعامة ، ويفيد منه الأفرادُ بخاصة ؛ فواجب على المصلحين وقادةِ الأمم أن يتنبهوا لهذا المعنى ، وأن يحرصوا على إشاعته في الناس ؛ ذلكم أنَّ وازعَ الدين والمراقبة لرب العالمين يفعل في النفوس ما لا يفعله وازعُ القوةِ والسلطان ؛ فإذا أَلِفَ المرءُ

أن يراقب ربه ، ويستحضر شهوده واطلاعه عليه - فإنَّ المجتمعَ يأمنُ بوائقه ، ويستريحُ من كثير من شروره .

أما إذا كان الاعتماد على وازعِ القوة ، وحارسِ القانون - فإن القوةَ قد تضعف ، وإن الحارسَ قد يغفُل ، وإن القانون قد يُؤَوَّل ، وقد يُتَحايلُ للتخلص من سلطانه .

لذلك تكثر الجرائم والمفاسد إذا قلّت التربية الدينية في مجتمع ما ، فإذا أشعنا هذا المعنى في الناس ، وعَمَدَنا إلى تربيتهم بأسلوب الدين

والفضيلة ؛ أرحنا واسترحنا ، ووفَّرنا جهودًا كبيرة ، وقد تكون ضائعة في غير ما فائدة ؛ فالمراقبة حارسٌ قويٌّ يمنع الإنسانَ من التفكير في الجرائم والشرور .

فلا عجب - إذًا - أن تكون هذه الآية في أول سورة نزلت مِن القرآن الكريم ؛ لكي يكون المؤمن على ذُكْرٍ من هذا المقام العالي الذي إذا تَمَثَّلَه كان في قبيل المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه ، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم . وتلك هي مرتبة الإحسان التي هي أعلى مراتب الدين .

تأمل قول المولى ﷻ : ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ [البلد : ٧] ، وقوله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق : ١٤] أي موعظة هذه التي تقول للمرائي : قف ! وللزاني : عف ! وللسارق : كف ! ولكل عاص : خف ثم خف أما تستشعر نظر من لا يخفى عليه شيء جل أو لطف ؟

* عندما تريد أن تعصي الله . . . تذكر قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق : ١٤] .

* عندما تنام عن الصلاة . . . تذكر قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق : ١٤] .

لا يقبل مني ولا يؤخرني !! فقال إبراهيم : يا هذا !! فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب ، وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير ، فكيف ترجو وجه الخلاص ؟!! قال الرجل : هات الخامسة !!

قال (إبراهيم) : إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار ، فلا تذهب معهم !! قال الرجل : إنهم لا يدعونني ولا يقبلون مني !! فقال إبراهيم : فكيف ترجو النجاة إذن ؟ فقال الرجل : يا إبراهيم : حسبي حسبي !! أنا أستغفر الله وأتوب إليه !! ، ثم لزمه وشاركه في العبادة

والاجتهاد في الطاعات حتى فرق بينهما الموت !! .

إذا مـــا قـــال لي ربي

أما استحييت تعـصيني

وتخفي الذنب عن خلقـي

وبالعـــصِيان تـــأتيني

فكيـف أجيـب يـا ويحـي

ومـن ذا سـوف يحمينـي

أسـلي الـنفس بالآمـال

مــن حــين إلى حــين

وأنسى ما وراء الموت

ماذا بعد تكفيني

كأني قد ضمنت العيش

ليس الموت يأتيني

وجاءت سكرة الموت

الشديدةُ من سيحميني

نظرت إلى الوجوه أليس

منهم من سيُفتيني

سأسأل ما الذي قدمت

في دنياي ينجيني

فكيف إجابتي مـن بعـدُ
مــا فرطــت في دينـــي
ويـا ويحـي ألم أسـمع
كـــــلام الله يـــــدعوني
ألم أسمع لما قـد جـاء في
قـاف و(ن) وياسـيني
ألم أسـمع بيـوم الحـشر
يــوم الجمـع والـدين
ألم أسمع منـادي المـوت
يـــدعوني .. ينـــاديني

فيــا ربــاه عبــدٌ تائــبٌ

مـــــن ذا ســـــيؤويني

ســـــوى ربٍ غفـــــورٍ

واســـعٍ للحــق يهــديني

أتيــت إليــك فــارحمني

وثقـــــل في مـــــوازيني

وخفف في جزائـي أنـت

أرجــى مــن يجــازيني

- سأل عمر بعض المسلمين في أطراف المدينة، عن إمام محلتهم، فوصفوه بخير، وقالوا

إلا أنه إذا انتهى من صلاته تغنى . . !! فقال عمر : تغنى ؟ مستنكرًا ، قوموا بنا إليه ، فلما جاء عمرُ الرجلَ ، قال : يا أمير المؤمنين كنت أنا أحق بالمجيء إليك ، قال عمر : ما مقالة بلغتني عنك ؟! قال الرجل : وما ذاك يا أمير المؤمنين .

قال عمر : قيل : إنك إذا انتهيت من صلاتك تغنيت ! قال الرجل : إنما هي موعظة أعظ بها نفسي يا أمير المؤمنين . قال عمر : أسمعنيها . فقال الرجل : أقول :

وفــــؤادي كلـــما عاتبتـــه

عاد في اللذات يبغـي تعبـي

يا قرين السوء ما هذا الـصبا

فنـي العمـر كـذا في اللعـب

وشـبابي بـان عنـي فمـضى

قبـــل أن أقـــضي منـــه أربي

مـــا أرجـــي بعـــده إلا الفنـــا

ضيق الـشيب عـليّ مطلبـي

نفسي لا كنت ولا كان الهوى

راقبـي الله وخـافي وارهبـي

فإذا عينا عمر تذرفان ، وإذا هو يردد :

نفسي لا كنت ولا كان الهوى

راقبي الله وخافي وارهبي

يقول عمر : « مَن كان منكم مُنشدًا فليُنشد هكذا » .

- روى ابن الجوزي بسنده : عن أبي حامد الخلقاني أنه قال : قُلت للإِمام أحمد بن حنبل : يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار ، أي شيء تقولُ فيها ؟ فقال أحمد بن حنبل : مثل أي شيء ؟ فقال الخلقاني : يَقولون :

إذا مـــا قـــال لي ربي

أما اسْـتحييت تعـصيني

وتُخفي الذنب عن خَلقي

وبالعِـــصيانِ تـــأتيني

فقال : أعد ، فأعدت عليه ، فقام ودخل بيته وردّ الباب ، فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يردد البيتين .

– الإمام السلمي لما أراد الحج قال : استأذنت أمي في الحج ، فقالت لي : إذا توجهت إلى بيت الله فلا يكتبن عليك حافظاك شيئًا تستحي منه غدًا .

- كان الإمام أحمد رحمه الله يئنُّ في مرض موته ، ذكر له أن طاووس بن كيسان قال : يكتب الملك كل شيء حتى الأنين ، فلم يئن أحمد رحمه الله حتى مات ، إلى هذا الحد مع أن الأنين ليس بمحرم .

- هذا ابن دقيق العيد أيها الأحبة ، يقول : ما تكلمت بكلمة ولا فعلت فعلاً ، إلا أعددت له جوابًا بين يدي الله ﷻ.

- كان هارون الرشيد رحمه الله يسعى في المسعى ومعه واعظ ، فإذا به يعظه بهذه المعلومة العجيبة ، يقول : يا أمير المؤمنين : أترى هذه الرؤوس

أمامك ، قال : نعم ، قال : كل منهم يحاسب عن نفسه إلا أنت ؛ فإنك ستحاسب عنهم جميعًا ، فخر صريعًا في أرض المسعى .

- سئل الحسن البصري عن سبب زهده في الدنيا ، فقال : علمت أن عملي لا يقوم به أحد غيري فاشتغلت به . وعلمت أن رزقي لا يذهب إلى غيري فاطمأن قلبي . وعلمت أن الله مطلع عليَّ فاستحييت أن يراني على معصية . و علمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي .

- قصة الربيع بن خثيم : هاهو الشاب القوي

الحيِيَّ العالم ، الذي يبلغ ثلاثين سنة ، إنه الربيع ابن خثيم ، يتمالأ عليه فُسّاق لإفساده ، فيأتون بغانية جميلة ، ويدفعون لها مبلغًا من المال قدره ألف دينار . فتقول : علامَ ؟ قالوا : على قبلة واحدة من الربيع بن خثيم ، قالت : ولكم فوق ذلك أن يزني ؛ لأنه نقص عندها منسوب الإيمان ، فما كان منها إلا أن تعرضت له في ساعة خلوة ، وأبرزت مفاتنها له . فما كان منه إلا أن تقدم إليها يركض ويقول : يا أمة الله : كيف بك لو نزل ملك الموت ، فقطع منك حبل الوتين ؟ أم كيف بك يوم يسألك

منكر ونكير ؟ أم كيف بك يوم تقفين بين يدي الرب العظيم ؟ أم كيف بك إن شقيتي يوم تُرمين في الجحيم ؟ فصرخت وولّت هاربة تائبة إلى الله ، عابدة زاهدة حتى لقّبت بعد ذلك بعابدة الكوفة . . وكان يقول هؤلاء الفساق : لقد أفسدها علينا الربيع . ما الذي ثبّت الربيع أمام هذه الفتنة ؟ هل هي قلة الشهوة ؟ إنه شابٌ يماثل أقرانه من الشباب في وجود الغريزة والشهوة ومع ذلك ما الذي ثبّته هنا . . وما الذي عصمه بإذن الله ؟ إنه الإيمان بالله ، الذي لا إله إلا هو . . فيا من تريد السعادة

وزيادة الإيمان ، أوصيك بمراقبة الله . . الصلوات الخمس في أوقاتها في المساجد . . السنن الرواتب . . صيام النوافل . . ذكر الله . . زيارة القبور . . الدعوة إلى الله . . الصدقة . . مصاحبة الأخيار . . هذه جنة وسعادة .

– قصة تائب : يقول أحد الدعاة حدثني صاحب لي قال : كنت ذاهبًا إلى إحدى الدول العربية لمهمة تستغرق يومًا واحدًا ، وبعد أن أنهيت مهمتي ، عدت إلى المطار استعدادًا للإياب ، وكلِّي تعب ونصب من هذه الرحلة ، التي ما

ذقت فيها النوم إلا غفوات . . فالتفتُّ يمنة ويسرة وبحثت عن المسجد لأصلِّي ، فوجدت في المطار مكانًا أُعِدَّ للصلاة . . فذهبت إليه ونمت نومًا عميقًا ، وقبيل الظهر استيقظت على بكاء شاب يصلي ويبكي بكاءً مريرًا ، قال : فعدت لنومي وقد أعياني التعب والنصب ، ثم دنا ذلك الباكي مني بعد لحظات ، وأيقظني للصلاة ، ثم قال : هل تستطيع أن تنام ؟ قال : قلت : نعم ، قال الشاب : أما أنا فلا أقدر على النوم ، ولا أستطيع أن أذوق طعمه ، قال : قلت : نصلي وبعد الصلاة

يقضي الله أمرًا كان مفعولاً ، قال : ثم أقبلت عليه بعد ذلك ، فقلت : ما شأنك ؟ قال الشاب : أنا من الرياض ومن أسرة غنية ، كل ما نريده مهيأ لنا من المال والملبس والمركب . . ولكنني مللت الروتين والحياة . . فأردت أن أخرج خارج البلاد ، ثم أجَّلت النظر هل أذهب إلى دولة يذهب إليها الناس ، فاخترت بين دول عدة هذه البلاد التي أنا وإياك في مطارها ؛ حتى لا يعرفني أحد ، وما كان همي فعل فاحشة ، بل لعب وضياع وقت ، ولهو وتفسح . ولما وصل هذا الشاب إذا برفقة

سوء قد أحاطت به إحاطة السوار بالمعصم . .
فاطمأن إليها بادئ الأمر ، وما زالوا معه من
فساد إلى فساد ، ومن عبث إلى عبث ، حتى أتوا
به إلى خطوات الزنا ، مع الجواري والفتيات
الغانيات الفاجرات . . وما زالوا به حتى انفرد
بواحدةٍ منهن ، وما زالت تلاعبه حتى وقع عليها
وزنى بها . . ولما بلغ به الأمر مبلغه وبلغت فيه
الشهوة ذروتها ، وأخرج ما في جوفه إذا بحرارة
تلسع قلبه وتضرب ظهره . . وبدأ يبكي ويصيح :
زنيت ولأول مرة . . كيف هتكت هذا الجدار

والسور المنيع من الفاحشة . . إني سأحرم حور الجنة ، وبدا عليه شأن ، وأمر غريب وعجيب ، وخرج من الباب باكيًا وإذا بفاجر يقابله فقال له : ما لك تبكي ؟ قال الشاب : ولِمَ لا أبكي ، لقد زنيت ، فقال له : الأمر هيِّن خذ كأسًا من الخمر تنس ما أنت فيه ، قال الشاب : أما يكفيك أني زنيت تريد أن تحرمني خمر الجنة ، فقال له : إن الله غفور رحيم . ونسي هذا العابث أن الله شديد العقاب . . أعدَّ للمجرمين نارًا تلظى . . تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف

ملك ، إذا رأت المجرمين سمعوا لها تغيَّظًا وزفيرًا وشهيقًا .

ثم أخذ الشاب يبكي من حرقة ما أصابه . . ويقول لصاحبه الذي في المطار : يا ليتهم أخذوا مالي . . لقد مضوا بي إلى الزنا . . لقد أفسدوا وكسروا ديني وإيماني . . فقال صاحبنا : أتلو عليك آية من كلام الله . . فلتسمع . . وتلا عليه قول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

فأجاب ذلك التائب الذي بلغت التوبة في قلبه ذلك المبلغ قال : كلٌّ يغفر له إلا أنا ، ألا تعلم أني زنيت . . ثم سأل الشاب صاحبه : هل زنيت ؟ قال : لا والله ، قال : إذن أنت لا تعلم حرارة المعصية التي أنا فيها . قال : وما هي إلا لحظات حتى أعلن مناد المطار إقلاع الرحلة التي سأعود معها بإذن الله إلى الرياض . . فأخذت عنوانه ثم ودعته وانصرفت . . وأنا واثق أن ندمه سيبقى يومًا أو يومين ثم ينسى ما فعل ، وبعد أيام من رجوعي إلى الرياض ، إذ به يتصل بي ، واعدته

ثم قابلته ، فلما رآني انفجر باكيًا وهو يقول : والله منذ فارقتك وفعلت فعلتي تلك ما تلذذت بنوم إلا غفوات . . ما قولي أمام الله يوم يسألني ويقول : عبدي زنيت ، أقول نعم زنيت وسرت بقدمي هاتين إلى الزنا ، فقال صاحبه هوِّن عليك إن رحمة الله واسعة . فقال ذلك الشاب لصاحبنا هذا : ما جئتك زائرًا . . ولكني جئتك مودعًا ، ولعلي ألقاك في الجنة إن أدركتني وإياك رحمة الله . قلت : إلى أين تذهب ؟ قال : أُسلم نفسي إلى المحكمة ، وأعترفُ بجرم الزنا ؛ حتى يقام حد

الله عليّ ، قال : قلت له : أمجنون أنت ، أنسيت أنك متزوج . . أنسيت أن حد الزاني المحصن هو الرجم بالحجارة حتى الموت . . قال : ذاك أهون على قلبي من أن أبقى زانيًا ، وألقى الله زانيًا غير مطهر بحد من حدوده . قال صاحبه : أما تتقي الله . . أُستر على نفسك وأسرتك وجماعتك . . قال الشاب : هؤلاء كلهم لا ينقذونني من النار ، وأنا أريد النجاة من عذاب الله . . قال صاحبه : فضاقت بي المذاهب ، وأخذته وقلت له : أريد منك شيئًا واحدًا ، فقال التائب : اطلب كل شيء

إلا أن تردني عن تسليم نفسي إلى المحكمة ، قال : غير ذلك أردت منك . . قال الشاب : ما دام الأمر كذلك فأوافقك . . قال صاحبه : امدد يدك عاهدني بالله أن تعمل وتصبر لما أقول ، قال : نعم . . فعاهدني . . قلت له : نتصل بالشيخ فلان من كبار العلماء وأتقاهم لله حتى نسأله في شأنك ، فإن قال : سلّم نفسك إلى المحكمة فأنا الذي أذهب بك إلى المحكمة . . وإن قال لا فلا يسعك إلا أن تسمع وتطيع ، قال : نعم . فسألنا الشيخ فقال : لا يسلم نفسه ، ولكن هذا الشاب لم يهدأ ،

بل ظل يتصل بالشيخ مرارًا يريد أن يقنعه بتسليم نفسه ، ويجادل ويصر ويلح على ذلك . . قال صاحبه : فلما قابلته قلت له : لماذا أزعجت الشيخ بهذا الاتصال وأنا الذي قد كفيتك مئونة الاتصال به ، فقال : أحاول أن أقنعه لعله أن يأمرني أو يوافقني على تسليم نفسي . قال : ومن كلام هذا الشاب للشيخ : اتق الله يا شيخ وأنا أتعلق برقبتك يوم القيامة وأقول : يا رب إني أردت أن أسلّم نفسي ليقام حدّ الله عليّ فردني ذلك الشيخ ، فقال الشيخ : هذا ما ألقى الله به ، وما أفتيتك إلا عن

علم . ثم قال الشاب التائب لهذا الصاحب : إني أودعك ، قال : إلى أين ؟ قال : أريد الحج وكان الحج وقتها قريبًا ، فطلب هذا الصاحب من الشاب أن يحج معه ومع إخوانه . . فقال : لا ، وظن صاحبه أنه قد اختار رفقة ليحج معهم . قال : فلما قضينا مناسكنا وعدنا إلى الرياض قابلته فسألته ، فقال : لقد حججت وحدي ، وتنقلت بين المشاعر على قدمي ؛ لعل الله أن ينظر إليّ ذاهبًا من منى إلى عرفة ، أو واقفًا على صعيد عرفة ، أو ذاهبًا إلى مزدلفة أو ماضيًا إلى الجمرات ؛ لعل الله

أن ينظر إليّ فيرحمني . ولقد كان هذا التائب يقول في حجه : أخشى ألا يغفر الله لمن حولي ؛ لشؤم ذنبي ، وتارة يقول : لعل الله أن يرحمني بهؤلاء الجمع المسبِّحين الملبِّين . . قال صاحبي : ولقد دامت الصلة والزيارات بيني وبينه ، ولقد حفظ هذا الشاب التائب القرآن كله بعد الحج ، وأصبح يصوم يومًا ، ويفطر يومًا . قال الصاحب : وإنني رأيت أحد العلماء فأخبرته بقصة هذا التائب ، وما كان منه من انكسار وإنابة وصيام وقيام وحفظ للقرآن ، فقال هذا العالم : لعل زناه هذا

قد يكون سببًا لدخول الجنة ، ولعل بعض الآيات تصدق في حقه ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان : ٦٨ - ٧٠] قال الصاحب : لما سمعت هذه الآية عجبت وقلت : كيف غفلت عن هذه الآية . . فوليت إلى بيت صاحبنا في دار أبيه العامرة

في قصر أبيه الفسيح . . ذهبت إليه لأبشره ، فقال أهله : إنه في المسجد ، فذهبت إليه فوجدته منكسرًا ، تاليًا للقرآن . . فقلت له : عندي لك بشرى ، قال : ما هي ؟ قال : فقرأت عليه :

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۝ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝ ﴾ [الفرقان : ٦٨ -

٧٠] قال : فلما أكملت هذه الآية قفز فاحتضنني وقبَّل رأسي وقال : والله إني أحفظ القرآن ، ولكن كأني أقرأها لأول ، مرة ثم أذن المؤذن فانتظرنا إقامة الصلاة ، وغاب الإمام ذاك اليوم ، فقام مؤذن المسجد وقدّم صاحبنا التائب ، فلما كبَّر وقرأ الفاتحة تلا قول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾ فلما بلغ ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ لم يستطع أن يكملها فركع ، ثم اعتدل ثم سجد ، ثم اعتدل ، ثم سجد ، ثم قام فقرأ في الركعة الثانية الفاتحة وأعاد الآية يريد أن يكملها

فقال الصاحب : إن ولدك يوم أن سافر فقد عزيزًا عليه في سفره ذلك ، نعم والله . . فقد في تلك اللحظة إيمانًا عظيمًا . . فقد في لحظة الزنا إخباتًا وإقبالاً ، وأي شيء أعز من ذلك ، وأما زوجة هذا التائب فتقول : إن نومه كان غفوات وما استغرق في نوم بعد رجوعه من السفر ، وهم لا يعرفون حقيقة القصة . . قال الصاحب : فسألت والده عن موته فقال الأب : يا أحمد إن ولدي هذا كما تعلم ، يصوم يومًا ويفطر يومًا . . وفي يوم الجمعة هذا بقي عصر يومه في المسجد

يتحرى ساعة الإجابة ، وقبيل المغرب ذهبت إليه فقلت : يا أحمد . . تعال أفطر في البيت . . فقال الابن التائب : يا والدي أحس بسعادة فدعني الآن . . وأرسلوا لي ما أفطر عليه في المسجد ، قال الأب : أنت وشأنك ، وبعد الصلاة قال الأب لولده : يا ولدي هيّا إلى البيت لتتناول عشاءك ؟ فقال الابن : إني أحس براحة عظيمة الآن وأريد البقاء في المسجد ، وسآتيكم بعد صلاة العشاء . . فقال الأب : أنت وما أردت . ولما عاد الأب إلى المنزل أحسَّ بشيء يخالج قلبه ، يقول الوالد :

فبعثت ولدي الصغير فقلت اذهب إلى المسجد وانظر ما الذي بأخيك ؟ فذهب الولد وعاد صارخًا يا أبتي يا أبتي . . أخي أحمد لا يكلمني ، يقول الأب : فخرجت مسرعًا إلى المسجد ، فوجدت ولدي أحمد ممدودًا وهو في ساعة الاحتضار . . وكان يتكئ على مسند يرتاح في خلوته بربه واستغفاره وتلاوته ، قال الأب : فأبعدت عنه المتكأ الذي يتكئ عليه وأسندته إليّ ، فنظرت إليه فإذا هو يذكر اسم صاحبه أحمد ، الذي حدّث بقصته وكأنه يوصي بإبلاغ السلام

عليه ، ثم إن هذا التائب ابتسم ابتسامة في ساعة الاحتضار ، يقول أبوه : والله ما ابتسم ابتسامة مثلها من يوم أن جاء من سفره ، ثم قرأ في تلك اللحظة التي يحتضر فيها : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ [الفرقان : ٦٨ - ٧٠]

قال : فلما بلغ هذه الكلمة فاضت روحه وأسلمها

إلى باريها . . [١] .

فاحرص على التشبه بأولئك القوم ، والاقتداء بحالهم ، والتتبع لآثارهم .

كرر علي حديثهم يا حادي
فحديثهم يجلو الفؤاد الصادي
لا تعرضن بذكرنا مع ذكرهم
ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالكرام فلاح

(١) من كتاب : (التائبون إلى الله) .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

إذا جمعتنا يا أخي المحافل

يا نائم والركب سرى

إلحق القوم ولا تقعد ورى

أخي الكريم : أين تذهب ؟؟ انتبه !! عليك شهود يراقبونك في أي مكان ، وفي أي زمان ، فأين تذهب ؟؟ وأنت يا أختاه : انتبهي ، واعلمي أن هناك شهود يشهدون على أفعالك ، ويراقبون تحركاتك فاحذري .

فمن الشهود : الملائكة الذين يكتبون علينا

أعمالنا ، ويسجلون علينا سيئاتنا وحسناتنا ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ [الانفطار : ١٠ - ١٢] .

أيها الأخ الحبيب : أتذكر في تلك الليلة لما كنت أمام جهاز التلفاز ، وكنت تنظر إلى ما تبثه القنوات ، من تلك الصور العارية ؟ لعلك تذكرت ذلك الموقف . . هل كنت وحدك ؟ إنك لو علمت أن الملائكة قد كتبوا عليك تلك المعصية لما فعلت تلك المعصية . وهناك شاب آخر قد أخذ سماعة الهاتف ليعاكس الفتيات . . . يا ترى !!

هل علم بأن الملائكة الكاتبين قد سجلوا عليه سوء عمله ؟ وتلك الفتاة التي سمعت الأذان ولكنها تساهلت في أداء الصلاة حتى خرج وقتها ولم تصل تلك الصلاة ؛ لأنها انشغلت بالمكالمة الهاتفية ، أو لعلها كانت تشاهد الأفلام والقنوات . . . إنني أجزم أن تلك الفتاة غافلة عن شهادة الملائكة ، وأنهم يكتبون عليها أعمالها ، وأقول لأولئك المفسدين ، من العلمانيين ، والكتاب ، المنافقين : إن ما تقولونه وتكتبونه سترونه في كتابكم يوم القيامة ؛ لأن الملائكة الكاتبين قد

كتبوا أقوالكم وأعمالكم ، قال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف : ٨٠] ، وبعد تلك الكتابة من الملائكة ، يا ترى ماذا سيجري بعد ذلك ؟ عندما تموت سيطوى كتابك ، ولكنك سوف تلتقي معه عندما تخرج من قبرك ، وسوف تعطى هذا الكتاب الذي كتبته عليك الملائكة في الدنيا ، وسوف يأمرك الله جل وعلا بأن تقرأه عندما تقف بين يديه ، قال تعالى : ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ

ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء : ١٣ - ١٤] ، إنها لحظة عجيبة ، إنها ساعة حرجة عندما يقف العبد حافيًا عاريًا أمام الجبار ﷻ ، ومع العبد كتاب ، وهذا الكتاب هو ديوان الحسنات والسيئات ، فما هو شعورك يا من كان ليله في السهر على القنوات ، ونهاره في النوم عن الصلوات ؟ ما حالك يا عبد الله عندما ترى سيئاتك في ذلك الكتاب ؟ ويا ليت الأمر ينتهي عند مجرد رؤيتك له بل تؤمر بقراءته . . فماذا ستقرأ ؟ وماذا ستجد ؟ ماذا ستقرأ يا شارب الدخان ؟ ماذا ستقرأ يا من

عق والديه ؟ ماذا ستقرأ يا من أهمل تربية أبنائه ؟ ماذا ستقرأ يا آكل الربا ؟ قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [عم : ٤٠] وأقول لتلك الفتاة التي غفلت عن ربها ، وأعرضت عن طاعة مولاها ، ماذا ستجدين في ذلك الكتاب الذي ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ ؟ أختاه ستقرئين أعمالك هناك فماذا ستقرئين ؟ أما لباسك فحرام ، وأما وقتك فضياع في الآثام . يا أختاه الأمر خطير ، فمتى ستحذرين ؟ أوصيك أن تحفظي هذه الآية : ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا

يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩] . ومن الشهود الجوارح التي هي من نعم الله علينا : اليدان ، والقدمان ، واللسان ، والعينان ، والأذنان ، بل وسائر الجلود . . . ستأتي يوم القيامة لتشهد عليك يا عبد الله ، وستشهد عليك يا أختاه . . . إنه مشهد لا مثيل له ، يقف العبد أمام ربه ، ويبدأ الحساب ، ثم تبدأ الجوارح ؛ لتكشف الأسرار ، ولتخبر بالفضائح والجرائم التي فعلتها في أيامك السابقة ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ وبعد ذلك ماذا يجري ﴿ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ ﴾ وهل يقف الحد

عند ذلك ؟ لا بل ﴿ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يس : ٦٥] فيا حسرتاه . . . عندما تنطق اليدان وتخبر عنك أيها الإنسان ، وتقول : يا رب : بيده اشترى المجلات الماجنة ، بيده حرك (مفتاح) القنوات الفضائية ، يا رب بيده لمس المرأة الأجنبية ، ورفع السماعة لمعاكسات الفتيات ، يا رب بيده شرب الدخان والشيشة والمخدرات ، بيده تعاطى الخمر والمسكرات ، وتلك الفتاة ، تنطق يداها ، فما عساها تقول . . !! يا رب بيدها لبست العباءة الضيقة ، وبيدها وضعت المكياج

والعطور لكي تمر بها أمام الرجال ، إنه يوم الفضائح ، وتتكلم القدمان : أنا للحرام ذهبت ، وعن الصلاة قعدت ، وإلى بلاد الحرام مشيت . . ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٨] ، وإن الأمر يزداد حرجًا وشدة عندما تنطق سائر الجلود ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت : ٢٠] . وكأني بذلك الشاب يقف متعجبًا وهو يرى العين تشهد عليه بكل نظرة سيئة ، إنه متعجب وهو يسمع شهادة الأذنان بكل أغنية

وفاحشة استمع إليها . . . وبعد ذلك يحصل الأمر الغريب يخاطب المرء جوارحه : ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ لِمَ يا عين تشهدين ؟! لِمَ يا سمع تشهد ؟!! لِمَ يا قدم تتكلمين ؟! ولكن الجواب أعظم ﴿ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [فصلت : ٢١] وينتهي ذلك المشهد العجيب . . . ولكن يا ترى !! ما حالك هناك ؟ وهل ستكون ممن شهدت له الجوارح بالطاعات ، أم ستكون ممن تفضحه جوارحه أمام الله خالق الكائنات ؟ وأخيرًا يا ترى هل بقي أحد يشهد

علينا ؟ نعم ، إنه الواحد الأحد ، رب الشهود ، إنه الواحد المعبود ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ ﴾ [فصلت : ٥٣] ، الذي يراك أينما كنت ويعلم بحالك .

إن الأمر خطير ، ويوم العرض عسير ، وهناك تبدو الأسرار ، وتنكشف الفضائح والجرائر والجرائم والمخازي . . . . تذكر يوم العرض على الله ، وقد صار تاريخك مكشوفاً ، وصحيفتك مكشوفة ، وجسدك مكشوف .

وأحضروا للعرض والحساب
وانقطعت علائق الأنساب
وارتكمت سحائب الأهوال
وانعجم البليغ في المقال
وشهدت الأعضاء والجوارح
وبدت السوءات والفضائح
ونشرت صحائف الأعمال
تؤخذ باليمين والشمال

قل لي بربك ما غرك بربك الكريم ، حيث أغلقت الأبواب ، وأرخيت الستور ، واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور ، ماذا سيكون

جوابك عند كشف الأسرار ، وهتك الأستار يوم القيامة ، يوم تكشف المكنونات والمخبآت ، فحينئذ يساق العباد ومعهم الأشهاد ، فيشيب الصغير ، ويسكر الكبير ، ويتعلق بأمه الجنين خائفًا مذعورًا مندهشًا وتغلي الحميم ، وتزفر الجحيم ، وييأس الكفار ، وتسعر النيران ، وتتغير الألوان ، ويخرس اللسان ، وتنطق الجوارح .

وإليك صورًا ناصعة ساطعة رائعة من صور الحياء :

- وهذه الحيية الصديقة بنت الصديق حبيبة

رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها تقول : كنت أدخل الحجرة التي دفن فيها رسول الله ﷺ وأبي ، تقول : أدخل البيت واضعة ثوبي وأقول : إنما هو زوجي وأبي ، تقول : فلما دفن عمر رضي الله عنه ، والله ما دخلته إلا مشدودة عليَّ ثيابي حياءً من عمر رضي الله عنه وهو ميتٌ مدفونٌ تحت التراب !!! .

- وإليك هذه الصورة العظيمة من صور الحياء والعفاف ، والتي تضربها لك سيدة نساء العالمين ، فاطمة بنت رسول الله ﷺ فاسمع فاطمة وهي تحاور أسماء بنت عميس وتقول لها :

يا أسماء ! إني لأستحي أن أخرج غدًا على الرجال على هذا النعش ، وكانت النعوش خشبة مصفحة يوضع عليها الميت ، ثم يطرح عليه الثوب ، فيصف حجم الجسم ، فخشيت الزهراء رضي الله عنها إذا هي ماتت أن تحمل على مثل هذه النعوش فيكون ذلك خدشًا في حيائها وحشمتها ، قالت أسماء : أولا نصنع لك شيئًا رأيته في الحبشة ؟ فصنعت لها النعش المغطى من جوانبه ، والذي يشبه الصندوق ، ثم طرحت عليه ثوبًا ، فكان لا يصف الجسم ، فلما رأته فاطمة رضي الله عنها قالت

لأسماء : ما أحسن هذا وأجمله ! سترك الله كما سترتني . قال ابن عبد البر : هي أول من غطي نعشها في الإسلام على تلك الصفة ، الله أكبر ! فهي تريد أن تعيش عفيفة ، وتموت عفيفة ، وتحشر إلى الله وهي عفيفة .

- جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ تريد الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « **بايعيني على ألا تشركي بالله شيئًا ، ولا تسرقي ولا تزني** . . » فلما سمعت فاطمة هذه الكلمة : « **ولا تزني** » ؛ وضعت يدها على رأسها وأنزلت

وجهها من شدة الحياء ، فأعجب بحيائها ﷺ ، فقالت لها عائشة رضي الله عنها : يا فاطمة : بايعي فإن النساء بايعن على هذا ، فبايعت فاطمة . يا الله . . ألهذه الدرجة !! إننا نبحث عن أمثالها في هذه الأيام . . !! .

- وإليك هذه القصة مع وقفة معها ، بل وقفات : مقال كتبه أحمد الصويان في مجلة البيان بعنوان : (ويبقى ما بقي اللحاء) بتصرف يسير جدًا .

كنت في رحلة علاجية لبعض البلدان مع

فريق طبي ، أقام مخيمًا لعلاج أمراض العيون ، فتقدم إلى الطبيب شيخ وقور ، ومعه زوجته بتردد وارتباك ، ولمَّا أراد الطبيب المعالج أن يقترب منها (هذه الزوجة) إذا هي تبكي وترجف من الخوف ، فظن الطبيب أنها تتألم من المرض ، فسأل (الطبيب) زوجها عن ذلك فقال - وهو يغال دموعه - : إنها لا تبكي من الألم ، بل تبكي لأنها ستضطر أن تكشف وجهها لرجل أجنبي ! لم تنم ليلة البارحة من القلق والارتباك ، وكانت تعاتبني كثيرًا (وتقول) : أوَ ترضى لي أن أكشف

وجهي ؟! وما قبلت تأتي للعلاج إلا بعد أن أقسمت لها أيمانًا مغلظة بأن الله ﷻ أباح لها ذلك للاضطرار ، والله ﷻ يقول : ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٣] فلما اقترب منها الطبيب نفرت منه وقالت : هل أنت مسلم ؟

قال الطبيب : نعم والحمد لله . قالت : إن كنت مسلمًا فأسألك بالله ألا تهتك ستري إلا إذا كنت تعلم يقينًا أن الله ﷻ أباح لك ذلك ! أجريت لها العملية بنجاح ، وأزيل الماء الأبيض

(من عينها) ، وعاد إليها بصرها بفضل الله ﷻ ، حدَّثَ عنها زوجها أنها قالت : لولا اثنتان لأحببت أن أصبر على حالي ولا يمسني رجل أجنبي : قراءة القرآن ، وخدمتي لك (أي لزوجها) وأولادي .

وقفات : ما أعظم شموخ هذه المرأة المسلمة بعزتها وعفافها ، وما أجمل أن ترى المرأة مصونة فخورة بحشمتها أكرم به من إيمان يتجلى في صورة عملية صادقة ، بعيدة عن التكلف والتنطع ، سالمة من الرياء وشوائب الهوى ، فأين أولئك

النساء اللواتي كسرن طوق الحياء ، وأسلمن أنفسهن لدعاة الرذيلة ، وأدعياء المدنية ، وأصبحن يلهثن وراء شهواتهن ، ويتبارين في التفسخ والانحلال ، أين أنت من تلك المرأة العفيفة الطاهرة ؟! وَلَكَمْ يتفطر القلب أسىً وحزنًا على أولئك الفتيات الزهراوات ، اللواتي طاشت بهن الأهواء ، وأسلمن أنفسهن بكل غفلة وبلاهة لكل ناعق ، إن الحياء شعبة من الإيمان ، وعنوان من عناوين العفة والفضيلة ، وتقوم قواعده على أسس راسخة من التقى ، وأصول متينة من

الصلاح ، قال ﷺ : « **الحياء كله خير** » [١] ، وأعظم ﷺ من شأنه قائلاً : « **إن لكل دين خُلقًا ، وخلق الإسلام الحياء** » [٢] ، ويتأكد ذلك في حق المرأة ، فسترها رمز حيائها ، وحجابها دليل كرامتها ، وإذا اختلف حياء المرأة تزلزلت أقدامها ، وعصفت بها الفتن ، وأصبحت سلعة رخيصة تباع بأبخس الأثمان ، ويعبث بها دهاقنة الفساد ، وأئمة الهوى ، وإليك تعريف الحياء : هو خلق

---

(١) مسلم (١/ ٤٧) .

(٢) حسَّنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢١٤٩) .

يبعث على اجتناب القبيح - كل القبيح - حتى لو لم يراك أحد . هو انقباض النفس للدنايا والقبائح . هو عاطفة ترتفع بها النفس عن فعل الدنايا . - والفرق بين الحياء والخجل : الحياء هو امتناع الإنسان عن فعل ، أو عمل ، أو قول مناف للقيم والأخلاق ، بدافع من دين ، ومكارم أخلاق ، بينما الخجل ضعف وخوف وعجز عن الفعل أو القول ، نتيجة لأسباب تتعلق بالتربية والنشأة ، أو حسابات وأسباب أخرى ، فالفرق بين الحياء والخجل شاسع ؛

ذلك لأن الحياء فضيلة وصفة محمودة ، ومعناها أن يترفع العبد عن المعاصي والآثام وأما الخجل فهو العكس ، فإنه منقصة ، وذلك لشعور الإنسان بقصوره أمام الآخرين ، فلا يطالب بحقه لخجله ، ولا يقول كلمة الحق لخجله ، ولا يتحدث أمام الآخرين لشعوره بالخجل .

قال الماوردي في أدب الدنيا والدين ص (٢٤١) : ليس لمن سُلب الحياء صادٌّ عن قبيح ، ولا زاجر عن محظور ، فهو يُقَدِّمُ ما يشاء ، ويأتي ما يهوى ، فالحياء الذي بين العبد وبين الناس هو

الذي يكف العبد عن فعل ما لا يليق به ، فيكره أن يطلع الناس منه على عيب ومذمة ، فيكفه الحياء عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق .

- وتقدم - والذي يستحيي من الناس لا بد أن يكون مبتعدًا عما يذم من قبيح الخصال وسيء الأعمال والأفعال ، فلا يكون سبابًا ، ولا نمامًا ، ولا مغتابًا ، ولا فاحشًا ، ولا متفحشًا ، ولا يجاهر بمعصية ، ولا يتظاهر بقبيح ، فحياؤه من الله يمنعه من فساد الباطن ، وحياؤه من الناس يمنعه من ارتكاب القبيح ، ومن لا حياء له يصير

كأنه لا إيمان له ، كما قال النبي ﷺ : « **إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت** »(١) .

إخواني : من فَقَدَ الحياء لم يبق ما يمنعه من فعل القبائح ، فلا يتورع عن الحرام ، ولا يخاف من الآثام ، ولا يكف لسانه عن قبيح الكلام ، وهذا لما قلَّ الحياء في هذا الزمان ، أو انعدم عند بعض الناس ، كثرت المنكرات ، وظهرت

---

(١) أخرجه البخاري .

العورات ، وجاهروا بالفضائح ، واستحسنوا القبائح ، وقلَّت الغيرة على المحارم أو انعدمت عند كثير من الناس ، بل صارت القبائح والرذائل عند بعض الناس فضائل ، وافتخروا بها ، فمنهم المطرب والملحن ، والمغني الماجن ، يهيج الشهوة بالحب والعشق ، ومنهم اللاعب التاعب ، الذي أنهك جسمه ، وكشف فخذه ، وضيَّع وقته في أنواع اللعب ، غير مبال بطاعة ، والمشاهدون بين تصفيق وتصفير وتقبيل . ومن ذلك العشق والتعلق بغير الله ، وما يُصاحب ذلك من المظاهر

المنافية لمحبة الله ﷻ، وتقديره في القلب .

ومن قلة الحياء : استقدام بعض الرجال النساء الأجنبيات السافرات ، أو الكافرات وخلطهن لهن مع عوائلهم داخل بيوتهن ، وجعلهن يزاولن الأعمال بين الرجال ، وربما يستقبلن الزائرين ، ويقمن بصب القهوة للرجال ، أو استقدامهم الأجانب سائقين وخادمين ، يطلعون على محارمهم ، ويخلون مع نسائهم في البيوت ، وفي السيارات ، في الذهاب بهن إلى المدارس والأسواق .

ومن ذلك : إقامة الشباب المبتعث للخارج بين عوائل لا يعرفون دينًا ولا فضيلة ولا عفافًا ، ولا قيمًا ولا أخلاقًا ، وماذا يحدث حينئذ لشباب مراهق في غربة . . . ؟!!! .

ومن قلة الحياء أو انعدامه : هتك الحجاب الشرعي في تلكم الحفلات من بعض الناس ، الذين ضعف عندهم الوازع الديني ، ففقدوا الغيرة والشيم العربية ، وأضاعوا نصيبهم من السمعة الحسنة ، وذلك بظهور الزوجين على منصات عالية أمام جمع غفير من الرجال والنساء

ليلة الزفاف ، رجال ونساء من أقارب الزوجين وغيرهم ، ينظر بعضهم إلى بعض ، ويركزون على المزفوفة ، ولبس بعضهن اللباس الخالع العاري أو شبهه ، فأين الدين والحياء ؟! تنتهك محارم الله بهتك الحجاب الشرعي ، وما يثير الغرائز والشهوات ، وفتح آلات التصوير تلتقط صورهم ، ويجمعهم الذل والمهانة ، والتبذل والانحراف والميوعة ، وقبح الفعال ، والحفل يموج بالصخب والتصفير والتصفيق ، والخروج على حدود الآداب ، وإذا بصوت المغنية الماجنة

الوقحة يصدح من مكبرات الصوت ، بصوت مستنكر مستهجن ذميم بأغاني المجون والخلاعة ، المثير للغرائز ، وكأنما تدعو إلى الانحراف والدعارة والإباحية ، فيظلون ينهقون على هذه الحالة حتى صلاة الصبح ، فتؤذي الجيران ، وتقلق المرضى ، وتفضح الفضيلة ، وترفع الرذيلة ، وتدفع الشباب إلى مشاكل معقدة ، وتوقعهم في هاوية سحيقة ، وتفسد على الناس صلاة الصبح ، فيخالط صوتها صوت المؤذنين ، فلا خوف ولا حياء ، ولا احترام لشعور الآخرين ، ولا رعاية ولا حرمة للمرضى

وكبار السن ، وبين المسلمين ، وإضاعة الفريضة ، وإذا كانت الحفلات على هذا النمط والطريقة فإن كان يستطيع إن يغير المنكر جاز له الحضور ، بل وجب عليه ، وإلا فلا يجوز له الحضور ، ولا أن يرضى لنسائه حضور هذه الحفلات بهدية ونحوها ، بل كل ذلك حرام ؛ لأنه من التعاون على الإثم والعدوان ، وهو خلاف المشروع ، بل المشروع الدف والغناء المباح للنساء بدون رفع صوت ، وخال من الفحش والغزل المهيج ، ومن آلات اللهو جميعها ، ما عدا الدف للنساء فقط

دون الرجال ، والويل كل الويل إذا أقر الناس منكرًا ، ورضوا به ، وتهاونوا ، وحضروا وما أنكروا ، وأحضروا نسائهم أو تسببوا في هذا المنكر ، ولو بتوزيع بطاقات إذا كانوا يعلمون أنه سيحصل هذا المنكر .

ومن ذهاب الحياء من بعض الرجال والنساء شغفهن باستماع الأغاني والموسيقى والمزامير الماجنة ، من الإذاعات ومن أشرطة التسجيل ومن الجوال ، وما فيها من تدنيس السمع بما حوتْ من فسوق ومجون وتعريض للزنا ودعوة

إليه ، وما يلحق به من الزنا ونحوه . ولو رأى المُقارفُ لها قبحها ؛ لهرب إلى الموت ؛ خجلاً واستحياءً .

أين الحياء ممن يشتري الأفلام الخليعة ، ويعرضها في بيته أمام نسائه وأولاده ، بما فيها من مناظرالعهر والفجور ، وقتل الأخلاق ، وإثارة الشهوة ، والدعوة إلى الفحشاء والمنكر ، وبما يسمونه بالبلوتوث والنت والدشوش ؟! .

أين الحياء ممن ضيعوا أولادهم في الشوارع يخالطون ما هب ودب من ذوي الأخلاق السيئة

أو يضايقون الناس في طرقاتهم ، ويقفون بسياراتهم في وسط الشارع ؛ حتى يمنعوا المارة أو يهددون حياتهم بالعبث بالسيارات ، وبما يسمونه بالتفحيط ، أو برفع صوت مسجل السيارة بالأغاني والموسيقى ، يسيحون في الأرض يؤذون المسلمين ويتبعون عوراتهم ؟! .

أين الحياء ممن جاهر ربه بالتدخين في مجامع الناس ؛ ليكون معول هدم لأبناء المسلمين ، وينفث الدخان من فمه في وجوه جلسائه ، ويقزز نفوسهم ، ويملأ مشامهم من نتنه ورائحته

الخبيثة الكريهة ؟!.

أين الحياء ممن يبيع المحرمات من دخان وما يسمونه بمعسل وجراك وطبل وزمر ، أَوَ يؤجر ذلك أو مثله على الآخرين ؟!.

أين الحياء من التاجر ، الذي يخدع الزبائن ويغش السلع ، ويكذب على الناس ؟ .

ومن ذهاب الحياء في النساء اليوم ما ظهر في الكثير منهن من عدم التستر والحجاب ، والخروج إلى الأسواق ، متطيبات متعطرات ، متجملات ، لابسات لأنواع الحلي والزينة ،

لا يبالين بنظر الرجال إليهن ، بل ربما يفتخرن بذلك ، ومنهن من تغطي وجهها في الشارع وإذا دخلت المعرض ؛ كشفت عن وجهها وذراعيها عند صاحب المعرض ، ومازحته بالكلام وخضعت له بالقول ؛ لتطمع الذي في قلبه مرض .

ومن ذلك : تشبه النساء بالرجال ، وكذلك تشبه الرجال بالنساء ، وهذا فعل مستقبح تأباه الفطرة السليمة ، والذوق والحياء ، وحرمه الشرع ونهى عنه . وبسبب انعدام الحياء ؛ كثُر في زماننا

- الذي يسميه البعض بعصر العولمة - المشاكل والفضائح التي تنتج بسبب الشبكة العنكبوتية ، أو شبكة الإنترنت ، وخصوصًا في مجتمعاتنا الإسلامية . وبالطبع الملامة لا تقع على هذه الشبكة التي تزود العالم بمرجع سريع وسهل الوصول للكثير من الأخبار والمعلومات ، بل وأنها تشارك في العديد من مجالات الخدمة الاجتماعية والصحية التي لا حصر لها . . . ولكن اللوم كل اللوم يقع على من يستخدم هذه الشبكة في أمور تنبيء عن عدم الحياء .

إن الذي حمل هؤلاء على النزول إلى هذه المستويات الهابطة هو ذهاب الحياء كما قال ﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

فأين الغيرة، وأين الحياء، وأين الشهامة، والرجولة ؟!.

إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقي اللحاء

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه

ولا خير في وجه إذا قلَّ مـاؤه

حياءك فاحفظـه عليـك وإنـما

يدل على وجه الكريم حيـاؤه

أين الحياء ، وأين الدين وا أسفى ؟! . . .

ضاع الحياء وضاعت حكمة الأول .

أما عن الفريضة المضيعة الحجاب الشرعي فحدِّث ولا حرج : اعلم أن جمال المرأة وكمالها ، وفضلها وكرامتها ، وعزتها وسعادتها ، بل حياتها ووجودها والله وبالله وتالله إنما هو بإيمانها

وحيائها وعفتها وحجابها ، وإذا فقدت ذلك فعليها السلام ، كبِّر عليها أربعًا ؛ لوفاتها ، من أجل ذلك اهتم الإسلام بالمرأة ، وأوجب عليها الحجاب ؛ حفاظًا وكرامة وصيانة ، فالحجاب الشرعي عبادة وفريضة شرعية واجبة كوجوب الصلاة ، والصوم ليس عادةً أو عرفًا أو تقاليدًا لبلد دون أخرى ، ولقوم دون غيرهم ، إذا كانت في هذه البلاد لبسته وإذا خرجت منه نزعته وخلعته ، بل بلغ ببعضهن وهي على سلم الطائرة تخلعه ، وأذكرها بقول النبي ﷺ : « اتق

الله حيث ما كنت » (١) . وأقول : العادات والتقاليد والعرف إذا خالفت الشريعة فليس لها إلا أن توطأ بالأقدام ، ويرمى بها عرض الحائط ، ولا يلتفت إليها ، ولا عبرة بها ، فليتنبه لهذه المسألة ، فإنها خطيرة جد خطيرة ، وأي قول يخالف الكتاب والسنة فحكمه كذلك ، لا عبرة به مطلقًا ، والمسلمة تلتزم بجميع شرع الله ، من صلاة وزكاة وصوم وحجاب وأخلاق ، أما أن

(١) أخرجه أبو داود ، وأحمد ، والترمذي ، والحاكم .

تأخذ البعض وترفض البعض ؛ فالله حكم على من فعل هذا بقوله : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة : ٨٥] والحجاب الشرعي هو تحجب المرأة بكليتها ، فلا عين تطرف ، ولا قدم تظهر ، ولا كف يكشف ، الحجاب منع النساء من الاختلاط بالرجال على أي حال ، في المسجد ، في البيت ، الحجاب الشرعي يقتضي عدم التبرج عدم السفور ، عدم إبداء الزينة ، عدم التعطر إذا خرجت من بيتها ، عدم الخلوة بأجنبي ولو طبيبًا أو شيخًا تقيًا ورعًا

يحفظها القرآن ، عدم سفرها بدون محرم ، حتى في حجها لبيت الله ، وإذا لم تجد محرمًا فتنيب من يحج عنها ، إلى هذه المنزلة بلغ من محافظة الإسلام على المرأة وكرامتها وعفتها ومنعها من كل ما يسبب افتتان الرجال بها ، فجعل القوامة للرجال ؛ لئلا يتذلن ويختلطن بالرجال ، وجعل البيت هو جنتها ، ولم يلزمها بالنفقة أو الكسوة أو المهر أو السكن ، بل جعل الرجل هو القائم بذلك كله ، والمرأة جعلها مربية أولادها ، جنتها بيتها .

ومن شروط الحجاب الشرعي :

١ - استيعابه جميع بدنها ، حتى وجهها وكفيها وقدميها .

٢ - ألا يكون ضيقًا بحيث يحجم ويفصل الجسم .

٣- ألا يكون رقيقًا فيصف أو يشف ما تحته .

٤ - ألا يشبه لباس الكافرات .

٥- ألا يشبه لباس الرجال .

٦- ألا يكون زينة في نفسه .

٧- ألا يكون مطيبًا ولا مبخرًا .

فهذه شروط ثابتة في الكتاب والسنة وآثار

سلف الأمة ، وإليك آيات الله التي أنزلت على أفضل الأمة وأتقاها ، وأخيرها وأنقاها ، يقول تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] ، ويقول تعالى : ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٩] والخمار والجلباب هو ما تضعه المرأة على رأسها ووجهها وصدرها ، والمراد به الغشوة ، والمقصود به وجوب تغطية الوجه .

- وهذه أمنا عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق رضي الله عنه وعن أبيها ، تروي موقف المؤمنات

في زمانها يوم نزلت آية الحجاب ، فعن صفية بنت شيبة قالت : بينما نحن عند عائشة فذكرن نساء قريش وفضلهن ، فقالت عائشة : إن لنساء قريش لفضلاً ، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ، ولا أشد تصديقًا لكتاب الله ، ولا إيمانًا بالتنزيل ، لما نزلت سورة النور ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله منها ، يتلو الرجل على امرأته وبنته وأخته وعلى ذي قرابة ، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرجل فغطت رأسها

به ؛ تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من كتاب ، حتى المحرمة وهي تصلي أو تطوف ، يجب عليها أن تغطي وجهها ؛ لقول عائشة رضي الله عنها : « **كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله ﷺ ، فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها ، فإذا جاوزونا كشفناه** » (١) . وإذا كانت المرأة ممنوعة من الضرب بالأرجل خوفًا من الافتتان ، وممنوعة من ترقيق الصوت وتليينه ،

(١) أخرجه أحمد ، وأبو داود ، وابن الجارود ، والبيهقي ، وابن ماجه ، وقال الألباني : سنده حسن في الشواهد و المتابعات .

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ ﴾ [الأحزاب : ٣٢] ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] « من جرَّ ثوبه خيلاء ؛ لم ينظر الله إليه يوم القيامة » فقالت أم سلمة رضي الله عنها : فكيف تصنع النساء بذيولهن يا رسول الله ؟ قال : « يرخين شبرًا » قالت : إذًا تنكشف أقدامهن ، قال : « فيرخينه

ذراعًا لا يزدن عليه »[١] ، وقال ﷺ : « **وأيما امرأة استعطرت ثم مرت بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية »**[٢] ، إذا كانت القدمان لا تكشف أو شم العطر منها فكيف برؤية الوجه ؟!! أقول : من المعلوم عند كل عاقل ؛ أن الوجه هو مجمع المحاسن ، وإذا كانت المرأة حسناء فوجهها أبهى وأحسن عند الناظرين من كل زينة عليها ، والناظر إنما ينظر إلى الوجه ، والفتنة غالبًا تكون

---

(١) أخرجه الترمذي .

(٢) أخرجه النسائي .

بالنظر إليه لا إلى الحلية والثياب، وإذا كانت المرأة مأمورة بستر زينتها فالوجه أعظم زينة؛ لأنه مجمع المحاسن وسبب الافتتان، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**المرأة عورة إذا خرجت استشرفها الشيطان**»[1]، وفي حديث أسماء رضي الله عنها: «**كنا نغطي وجوهنا من الرجال، وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام**»[2]، وحديث عائشة رضي الله عنها:

---

(١) أخرجه الترمذي، وانظر صحيح الجامع (٦٦٩٠).

(٢) إسناده صحيح، أخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي. انظر: الإرواء (٤/ ٢١٢)، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، =

« فعرفني حين رآني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي . . . »[1] .

وفي رواية أخرى : « فسترت وجهي بجلبابي » ، والخمار هو ما تخمر المرأة به وجهها ، أي تغطيه ، فهل تريدون دليلاً أقوى من ذلك ، ومن لم تتحجب بالحجاب الشرعي فهي شر وفتنة

= وصححه الألباني في جلباب المرأة المسلمة ، ص (١٠٧) رقم (٥) .

(١) أخرجه البخاري .

ومحنة ، بل أصل الفتنة ، ويا ويلها من الله ، ثم يا ويلها من الله إذا أغرت أو فتنت .

إن الإسلام اهتم بالمرأة اهتمامًا كبيرًا ، فبدين الإسلام تراها درة مصونة ، ولؤلؤة مكنونة ، في حصن حصين ، وهذه نعمة عظيمة قد حسدها عليها أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ ، وهذا مجرب ، فإن كل ذي نعمة محسود ، ونتيجة لإهمال المرأة لأوامر ربها ، وخروجها عن شريعة دينها ، وحبها تقليد غيرها من غير المسلمات ، تورط كثير من المسلمات اسمًا ، والغافلات رسمًا ممن

صارت آفة العصر ومصيبته ، تبرج وسفور ، واختلاط ، ولباس عار أو شبه عار ، أين هن من قول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ ﴾ [الأحزاب : ٣٢] فكيف بمن تكشف وجهها ؟! وأين هن من قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] وهذا في عصر الصحابة ، والخطاب للصحابة الأتقياء الأنقياء ، أصحاب الإيمان الذي تزول الجبال ولا يتزعزعون قيد أنملة ، أصحاب الخشية والتقى ،

الذين زكاهم الله ورسوله ﷺ، ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ ﴾ من هن ؟! إنهن أمهات المؤمنين، الطاهرات، العفيفات، فكيف برجالنا ونسائنا المفرطين، الغافلين مرضى القلوب إلا ما رحم ربي، يغلبهم هواهم ونفوسهم، وفي زمن كثرة الفتنة والمحنة والشرور، وفي الحديث : « **ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء** »[1].

وتأمل قول المولى ﷻ : ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ

---

(١) متفق عليه.

لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] فلا يقل أحد غير ما قال الله ! لا يقل أحد إن الاختلاط ، وإزالة الحجاب ، والترخص في الحديث والمشاركة بين الجنسين أعون على تصريف الغريزة المكبوتة ، . . إلى آخر المقولات الضعاف المهازيل ، لا يقل أحد هذا ، والله يقول : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] يقول هذا عن نساء النبي ﷺ الطاهرات ، وعن رجال الصدر الأول ، ممن لا تتطاول إليهن ، وإليهم

الأعناق ![(١)].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور : ١٩] يدخل في ذلك دعوات ساقطة لإخراج المرأة من خدرها، وقد ينطلي على بعض ممن في قلبه إيمان، فيرى مع كثرة الدعوات الآثمة أن لا بأس بمزاولة المرأة أعمالاً يراها الرائي لأول وهلة لا ضير فيها،

---

(١) في ظلال القرآن.

وهي عند العارفين ذرائع للفاحشة وإشاعة لها[١].

قال تعالى - في شأن بلقيس - : ﴿ وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾ [النمل: ٤٤] ففيه دلالة على أن ثوبها كان طويلاً ساترًا لساقيها ، وهي مَنْ ؟! امرأة كافرة !.

في حين أن بعض المسلمات - وللأسف الشديد - يتنافسن في خلع جلباب الحشمة والحياء

(١) عبد العزيز آل الشيخ .

فيما يرتدينه من ملابس بلا حياء ولا خوف من الله ! أليس من المدمي للكبد، المقطع لنياط القلب، أن تكون امرأة كافرة أكثر حشمة وتسترًا من بعض نساء المسلمين ؟!!!.

وبعضنا يقول : لا بأس بذلك أن تكشف المرأة وجهها . ويقول بعضنا : الوجه فتنة فقط لا غير وليس بحرام كشفه . وأنا أقول واسمعوها مني مدوية صريحة : إني أجزم وأتيقن أنه لا يوجد عالم مهما كان، يبيح كشف الوجه والكفين والقدمين إذا لم تؤمن الفتنة، ولا قائل الآن بأن

الفتنة غير موجودة ، بل إن الفتنة على قدم وساق ، وضعف الإيمان وكثرة الوسائل التي تؤدي إلى الفتنة في الأسواق والقنوات الفاسدة ، وانظر كثرة المغريات والأزياء والمكاييج الساحرة ، التي تجعل القبيحة الدميمة المشينة ملكة جمال - كما يقولون - وتجعل العجوز شابة ، والعطورات التي تسلب العقل ، وتمرض الصحيح ، ومهما يحصل من زينة وجمال وفتنة في المرأة فالوجه هو أصل الزينة ومجمع الجمال ، ومقياسه ومبدأ الفتنة ومنتهاها ، وإذا كان هذا الوجه مزينًا بالمساحيق

البيضاء والحمراء ، والأصباغ الزاهية ، فأدهى وأمر ، وأنكى وأشر ، وأضر ، والمثيرات في هذه الأيام كثيرة ، فحينئذ تكون الفتنة أعظم ، والمحنة أكبر ، وما أدى إلى محرم فهو محرم بإجماع الأمة ، إذن كشف الوجه محرم ، ولا تقل بعد هذا كله : بأن كشف الوجه أباحه العالم الفلاني ، أو الشيخ الفلاني أمام ما ذكرنا من نصوص صحيحة ، واضحة بينة ، صريحة ، وتعليلات ، والأدهى والأمر ، والأعظم والأطم ، ممن يسمي الفجور والفسوق ، والخلاعة ، والسفور ، حضارة ومدنية

وتقدمًا وتطورًا وتحضرًا ، أقول : نعم ، ذلك تقدم وتطور ، ولكن إلى النار فهل من عارف ، هل من مبصر ، هل من مدرك بأن أكثر خلق الله في ضلال يعمهون ، وفي جهالة يعيشون ويتخبطون وصدق الله ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١١٦] فرويدًا رويدًا ، ومهلاً مهلاً ، اسمع قول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٣] .

« فحجاب المرأة المسلمة على ثلاث درجات وهي :

١- **الحجاب** : وهو حجب المرأة وقرارها في بيتها ، وعدم خروجها من بيتها إلا لضرورة . وهو أعلى الدرجات .

٢- **الخمار** : وهو إذا خرجت المرأة من بيتها فعليها أن تغطي بدنها ، وأن تغطي وجهها كله ولا يظهر منه شيء ، وهذا أقل من الحجاب .

٣- **النقاب** : وهو إذا خرجت المرأة من بيتها فعليها أن تغطي بدنها ووجهها مع إظهار عينها ؛ لترى بها الطريق ، ويكون النقاب على قدر سواد العين . وليس بعد النقاب شيء سوى

التبرج .

أقول : أيها الإخوة والأخوات ، هذا الكلام الذى ذكرناه ربما علمه كثير من الناس لأول مرة ؛ وذلك نتيجة قلة العلم الشرعي . وبعد كل هذا هل يمكن لأحد أن يقول للأخت المسلمة إلبسي الحجاب ويجوز لها كشف الوجه والكفين ؟!! إنه لتعارض شرعي ولغوي ، وتعارض عقلي أيضًا ، فكيف يقول لها احتجبي واكشفي وجهك ؟!!

إن هذا لشيء عجاب !!!

وفى النهاية أوجه نصيحة لأختي الملتزمة

وأقول لها :

أختاه : اصبري ، وتوكلي على الله فإنك على الحق المبين ، ولا يغرنك كثرة المتساقطات ، وقلة الملتزمات ، فنحن في زمان الغربة الثانية الذى أخبرنا به المصطفى ﷺ فقال : « بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ ، فطوبى للغرباء »(١) .

وتحقق قول الرسول ﷺ : « يأتي على الناس زمان ، الصابر فيهم على دينه كالقابض على

(١) صحيح السلسلة الصحيحة (١٢٧٣) .

الجمر »(١) »(٢).

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني . صحيح بشواهده، السلسلة الصحيحة (٢/ ٩٥٧).

(٢) من رسالة بعنوان : (فصل الخطاب في الفرق بين الحجاب والخمار والنقاب).

[ونتصحك بهذه المراجع : (عودة الحجاب) لمحمد إسماعيل المقدم، و (المرأة بين الجاهلية والإسلام) لمحمد حامد الناصر وخولة درويش، و (يا فتاة الإسلام اقرئي حتى لا تخدعي) لصالح البليهي، و (قضية تحرير المرأة) لمحمد قطب، و (المرأة وكيد الأعداء) لعبد الله وكيل الشيخ، و (حكم الإسلام في توظيف المرأة) لأحمد عبد العزيز الحصين، و (ما هكذا يكون الحجاب لأمة الله) نور المهدي، و (مآخذ اجتماعية على حياة =

وإني لأعجب ، ومالي لا أعجب من مسلمة موحدة ، تفتخر وتقتدي وتتشبه بكافرة يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو بوذية ، أو فنانة أو ممثلة ، أو راقصة داعرة ماجنة خالعة وتترك الاقتداء بأسماء وسمية ، وحفصة وعائشة ، وأم سلمة وخديجة

= المرأة العربية) لنازك الملائكة ، و (حراسة الفضيلة) للعلامة بكر أبو زيد ، و (رسالة الحجاب) لابن عثيمين ، ورسالتان مختصرتان الأولى : (كلمة إلى أختي المتقبة) لأبي المنذر عبد اللطيف سيد محمد ، تقديم : مصطفى العدوي ، ووحيد عبد السلام بالي ، والثانية : للفتيات (حوار مع العقل) لهند حمد الربيعة ، تقديم : يوسف بن عبد الله الأحمد .

رضي الله عنهن !!!.

وإليك هذه القصة الرائعة : يروي الخطيب البغدادي حكاية امرأة ، تقدمت إلى مجلس القاضي موسى بن إسحاق بمدينة الري سنة ٣٨٦هـ ، فادعى وكيلها بأن لموكلته على زوجها خمسمائة دينار – مهرها – ، فأنكر الزوج . فقال القاضي لوكيل الزوج : شهودك . قال : أحضرهم. فطلب بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته . فقام الشاهد وقال للمرأة : قومي . فقال الزوج : تفعلون ماذا ؟ قال الوكيل : ينظرون

إلى امرأتك وهي مسفرة لتصبح عندهم معرفتها .
فقال الزوج : وإني أشهد القاضي أن لها عليَّ المهر الذي تدعيه ، ولا تسفر عن وجهها . فردت المرأة وقد أخبرت بما كان من زوجها فقالت : فإني أشهد القاضي أني وهبت له هذا المهر ، وأبرأت ذمته في الدنيا والآخرة ، فقال القاضي : يكتب هذا في مكارم الأخلاق .

وكانت النتيجة الحتمية المتوقعة ، والعاقبة والحال والمصير والمآل ، لما تقدم من سيء وخبث الفعال ، شرور وفتن ، ومحن ومصائب ورزايا ،

وفساد وبلايا ، فكم من جرائم ارتكبت ، وكم من أعراض انتهكت ، ومآسي ومصائب حصلت ، وهدم وتخريب وتدمير للبيوت ، وهتك لأعراض حدثت ونحن على خوف وإشفاق ، وخطر ووجل من أن يحل بنا عذاب الله .

لماذا توصف المؤمنات المحصنات العفيفات بـ ﴿ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ﴾ ؟ إنه وصف لطيف محمود ، يُجسد المجتمع البريء والبيت الطاهر ، الذي تشب فتياته زهرات ناصعات ، لا يعرفن الإثم ، إنهن غافلات عن ملوثات الطباع السافلة . وإذا

كان الأمر كذلك فتأملوا كيف تتعاون الأقلام الساقطة ، والأفلام الهابطة لتمزق حجاب الغفلة هذا ، ثم تتسابق وتتنافس في شرح المعاصي ، وفضح الأسرار ، وهتك الأستار ، وفتح عيون الصغار قبل الكبار ؟! ألا ساء ما يزرون !![١] .

تقوية مراقبة الله في النفس عبر أمور منها :

١- تدبر القرآن .

٢- طلب العلم .

(١) د . صالح بن حميد .

٣- الاستمرار على فعل الطاعات وعمل اليوم والليلة ، ومنها :

أ- المحافظة على الرواتب والنوافل .

ب- قيام الليل .

جـ- ركعتي الضحى .

٤- ذكر الله بجميع أنواعه المطلق والمقيد .

٥- الصيام .

٦- لزوم بيوت الله والجلوس فيها ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة .

٧- زيارة القبور ؛ لتهذيب النفوس وتحصيل

الأجور ، « زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة » .

٨- حضور الجنائز ، ويلاحظ في ذلك أمور :

أ- الاستمرار ، وقليل دائم خيرٌ من كثير منقطع ، فأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ ، وما السيل إلا اجتماع النقط .

ب- عدم إملال النفس ، والقصد القصد تبلغ .

جـ- المجاهدة ، والمجاهدة تحتاج إلى مجاهدة ، وهي توفيق ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ

﴿...﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٩- محاسبة النفس والخلوة بها، ومعاتبتها بين الفينة والأخرى، فذلك أكمل؛ لتزكيتها والسمو بها في معارج الخير والفضيلة والنور، وكما قال ميمون بن مهران: ساعة لا ينبغي أن يغفل العبد عنها ساعة محاسبة ومعاتبة، «حاسبوا **أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر على الله**».

قال ابن القيم: وهلاك النفس من إهمال محاسبتها ومن موافقتها واتباع هواها.

١٠- مجالسة العلماء وأهل الصلاح والتقى والبعد عن الكسالى والبطالين :

صحبة الصالحين بلسم قلبي
إنها للنفوس أعظم راقي
إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

١١- التفكر في خلق الله تعالى ، واستشعار عظمته : وأنه لا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، بل يعلم ما يسرون وما يعلنون ، وهو العليم بمكنونات الصدور سبحانه وبحمده ،

فإذا استشعر العبد أن الله مطلع عليه ، يراه حيثما كان ، بل يعلم ما يدور ويخالج صدره ؛ حينها يستحي من الله فيخافه ويجله .

١٢- محبة الله ورجاؤه : المنزلة التي تنافس فيها المتنافسون وإليها شخص العاملون ، وعليها تفانى المحبون ، وبدَوح نسيمها تدوح العابدون ، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون ، فهي الحياة ، ومن حُرمها عُدَّ من الأموات ، وهي النور ، ومن فقدها فهو بحار الظلمات ، الشفاء من جميع الأسقام ، اللذة التي من لم يظفر بها

فعيشه هموم وآلام . تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة .

١٣- إدامة النظر والتأمل في أسماء الله تعالى وصفاته : فالوقوف مع اسمين من أسماء الله وهما السميع البصير ، السميع الذي يسمع المناجاة ، وهو السميع القريب ، وهو السميع العليم ، فلا يفوته ولا يخفى عليه شيء من أفعال العباد ، فهو المطلع على السرائر ، وهو العليم بذات الصدور ، يرى خيانات العيون بلحظها ، ويرى كذلك تقلب الأجفان ، ومن علم أن ربه مطلع عليه

استحيا أن يراه على معصية ، أو فيما لا يحب .

١٤- قراءة سير السلف الصالح ، أهل العلم والإيمان والصلاح والتقى ، والنظر في أحوالهم وخوفهم ووجلهم من الله ، أصحاب العزائم القوية والإرادات الصادقة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١] .

إذا أعجبتــك خــصال امــرئ فكنــه
يكـــن منـــك مـــا يعجبـــك
فلــيس عــلى الجــود والمكرمــات إذا
جئتهـــا حاجـــب يحجبـــك

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ۝ ﴾ [النساء: ٦٩ – ٧٠].

١٥ – الدعاء.

أسباب السعادة وصفات السعداء :

إن من يريد أن ينال السعادة، وهو لم يأخذ بأسبابها، يصدق عليه قول الشاعر :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجري على اليبس

فلنقف معًا على أسباب السعادة وصفات السعداء ؛ لعل الله أن يوفقنا للأخذ بها ، إنه جواد كريم .

١ - الإيمان بالله ، والعمل الصالح :

يقول الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧] أي فلنحيينه حياة سعيدة . وكلنا يريد الحياة الطيبة ، فعلينا بالعمل الصالح مع الإيمان ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿ ﴾[البقرة: ٦٢] ، وفي حديث أبي يحيى صهيب ابن سنان قال: قال رسول ﷺ: « **عجبًا لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيرًا له** »(١) .

والحذر كل الحذر من معصية الله ، يقول ﷺ: « **لا تشرك بالله شيئًا وإن قطعت أو حرقت** ، - وفي لفظ - : **لا تشرك بالله شيئًا وإن قتلت**

---

(١) أخرجه مسلم ، (٢٩٩٩) .

وحرقت ، – وفي لفظ – : لا تشرك بالله شيئًا وإن قطعت وحرقت بالنار . ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدًا فمن تركها متعمدًا فقد برئت منه الذمة ، – وفي لفظ – : ولا تترك الصلاة متعمدًا ، فإن من ترك الصلاة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله – وفي لفظ – : ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدًا ، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله ، – وفي لفظ – : ولا تتركن صلاة متعمدًا فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله . أطع والديك

وإن أخرجاك من مالك ، ومن كل شيء هو لك ، - وفي لفظ - : ولا تعقن والديك وإن أمرك أن تخرج من أهلك ومالك ، - وفي لفظ - : ولا تعص والديك وإن أمراك أن تخل من أهلك ودنياك فتخل . ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر - ، وفي لفظ - : ولا تشربن خمرًا فإنه رأس كل فاحشة ؛ - وفي لفظ - : ولا تشربن خمرًا فإنها مفتاح كل شر . وإياك والمعصية ؛ فإن بالمعصية حل سخط الله ، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس . وإذا أصاب الناس

موت وأنت فيهم فاثبت ، وأنفق على أهلك من طولك ، ولا ترفع عنهم عصاك أدبًا ، وأخفهم في الله ﷻ »(١) .

٢- الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره :

فكله من الله ﷻ ، فاعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك . وهذه الصفة من أهم صفات السعداء ، إذ لا يمكن أن تحصل السعادة إلا لمن يؤمن بالله ، ومن

(١) صحيح الترغيب والترهيب .

الإيمان بالله : الإيمان بقضاء الله وقدره ، والرضا بقسمه ؛ لأن الإنسان في هذه الحياة لا بد أن يتنابه شيء من الهموم والمصائب ، فإن لم يؤمن بالقضاء والقدر ، هلك .

٣- العلم الشرعي : فالعلماء العارفون بالله هم السعداء .

٤- الإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن .

٥- انشراح الصدر وسلامته من الأدغال :

فانشراح الصدر وطلبه ، من علامات السعادة وصفات السعداء .

٦- الإحسان إلى الناس: وهذا أمر مجرب، ومشاهد، فإننا نجد الذي يحسن إلى الناس من أسعد الناس، ومن أكثرهم قبولاً في الأرض. يقول ﷺ: «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهرًا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو

شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له ، أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام »[١] .

٧- النظر إلى من هو دونك في أمور الدنيا وإلى من هو فوقك في أمور الآخرة : كما ورد في التوجيه النبوي الكريم حين قال ﷺ : « انظروا إلى من هو أسفل منكم ، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله »[٢] هذا في أمور الدنيا ؛ لأنك إذا تذكرت

---

(١) رواه الطبراني بسند حسن .

(٢) أخرجه مسلم .

من هو دونك ، علمت فضل الله عليك . أما في أمور الآخرة فانظر إلى من هو أعلى منك ؛ لتدرك تقصيرك وتفريطك ، لا تنظر إلى من هلك كيف هلك ، ولكن انظر إلى من نجا كيف نجا .وتأمل قوله ﷺ : « من أصبح منكم آمنا في سربه ، معافى في جسده ، عنده قوت يومه ؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها »[(١)] ؛ لتعلم ما أنت فيه من نعم فلتصرف في طاعته لا في معصيته .

٨- قصر الأمل وعدم التعلق بالدنيا ،

(١) السلسلة الصحيحة رقم (٢٣١٨) .

والاستعداد ليوم الرحيل . يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في كلمة جامعة مع أنها قصيرة : « الحياة قصيرة ، فلا تقصرها بالهم والأكدار » .

وهاك أخي هذه المحاورة القيمة التي دارت بين نفر ، من المتخلين عن الدنيا ، المتأهبين ليوم الرحيل ، جلس نفر من الصالحين يتذاكرون ويتساءلون حول قصر الأمل . فقيل لأحدهم : ما بلغ منك قصر الأمل ؟ فقال : بلغ مني قصر الأمل أنني إذا رفعت اللقمة إلى فمي ، لا أدري أأتمكن من أكلها أم لا !! .

إن الحياة - يا أخي - قصيرة ، فلا تزدها قصرًا ومحقًا بالهموم والأكدار .

٩- اليقين بأن سعادة المؤمن الحقيقية في الآخرة لا في الدنيا : قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود:١٠٨] ، ويقول الرسول ﷺ : « **الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر** »[١] .

(١) أخرجه مسلم (٢٩٥٦) .

وهنا قصة عجيبة لابن حجر العسقلاني - ﷺ - : خرج يومًا بأبهته - كان رئيس القضاة بمصر - فإذا برجل يهودي ، في حالة رثة ، فقال اليهودي : قف ، فوقف ابن حجر ، فقال له : كيف تفسر قول رسولكم : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » ؟! فقال ابن حجر : أنت مع تعاستك وبؤسك تعد في جنة ؛ لما ينتظرك في الآخرة من عذاب أليم - إن مت كافرًا - ، وأنا مع هذه الأبهة - إن أدخلني الله الجنة - ، فهذا النعيم الدنيوي يعد سجنًا بالمقارنة مع النعيم

الذي ينتظرني في الجنات . فقال : أكذلك ؟ قال : نعم . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

١٠- مصاحبة الأخيار والرفقة الصالحة :

ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر القرين على قرينة ، فهو مشهود ، ومجرب ، وواضح من خلال الواقع ، ومن خلال التاريخ . ولذلك قال الرسول ﷺ : « مثل الجليس الصالح ، والجليس السوء كحامل المسك ، ونافخ الكير . . .

الحديث »(١).

١١- أن تعلم أن أذى الناس خير لك ووبال عليهم: قال إبراهيم التيمي: (إن الرجل ليظلمني، فأرحمه).

ويروى أن ابن تيمية أساء إليه عدد من العلماء وعدد من الناس، وسجن في الإسكندرية، فلما خرج، قيل له: أتريد أن تنتقم ممن أساء إليك؟ فقال: قد أحللت كل من ظلمني،

(١) متفق عليه.

وعفوت عنه ، أحلهم جميعًا ؛ لأنه يعلم أن ذلك سعادة له في الدنيا والآخرة .

ويحكي الفضيل بن عياض - رحمه الله - أنه كان في الحرم ، فجاء خراساني يبكي ، فقال له : لماذا تبكي ؟ قال : فقدت دنانير ، فعلمت أنها سرقت مني ، فبكيت . قال : أتبكي من أجل الدنانير ؟ قال : لا ، لكني بكيت ، لعلمي أني سأقف بين يدي الله أنا وهذا السارق ، فرحمت السارق ، فبكيت .

وبلغ أحد السلف أن رجلاً اغتابه ، فبحث

عن هدية جميلة ومناسبة ، ثم ذهب إلى الذي اغتابه ، وقدم إليه الهدية ، فسأله عن سبب الهدية ، فقال : إن الرسول ﷺ قال : « من صنع إليكم معروفًا فكافئوه » (١) ، وإنك أهديت لي حسناتك ، وليس عندي مكافأة لك إلا من الدنيا .

سبحان الله .

١٢- الكلمة الطيبة ، ودفع السيئة بالحسنة :

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٢) ، وصححه الألباني في (سنن أبي داود) .

بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت : ٣٤] فتأمل يا أخي هذا الإرشاد الإلهي العظيم ، وقال تعالى واصفًا عبادة المؤمنين : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الفرقان : ٧٢] .

لما عفوت ولم أحقد على أحـد
أرحت نفسي من هم العداوات
إني أحيي عدوي حين رؤيتـه
لأدفع الشر عنـي بالتحيـات

١٣- الدعاء : سلاح المؤمن ، وهو الصلة بين العبد وربه ، وهو السبب إذا انقطعت الأسباب ، والباب إذا أغلقت الأبواب ، هو الحبل المتين ، والسلاح المبين : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، فليسأل العبدُ ربَّه وليتضرع إليه ليلاً ونهارًا ، بلسان صادق ، وقلب خاشع ، بأن يرزقه خشيته ومراقبته في السر والعلن . اللهم ارزقنا خشيتك في السر والعلن ، والالتجاء إلى الله ، وكثرة الدعاء .

وفي الختام : ما وعظ الله موعظة أشد ولا أقوى أثرًا لعباده من موعظته لهم بإخبارهم بأنه يعلم أحوالهم ، ويرى أفعالهم ، وأنه ليس بغافل عما يعملون .

وفي النهاية : كن سواءً ما أخفيت وما أعلنت .

عش بـ الله يراني ، الله مطلع علي ، الله رقيبي ، الله شاهدي .

وإليك أخي المحب هذه الموعظة الموجزة ، يعقبها فائدة ، سائلاً الله أن ينفعني وإياك بها .

(اثنان لا تنساهما أبدًا : الله العظيم ﷻ ، والدار الآخرة) لقمان الحكيم .

عبد الله : إذا همت نفسك بالمعصية فذكرها بالله ، فإن لم ترتدع فذكرها بأخلاق الرجال ، فإن لم ترتدع فذكرها بالفضيحة إذا علم بها الناس ، فإن لم ترتدع فاعلم أنك تلك الساعة انقلبت إلى حيوان .

قال الحسن بن عبد العزيز : (من لم يردعه القرآن والموت ثم تناطحت الجبال بين يديه ؛ لم يرتدع) .

وكان الإمام أحمد - رحمه الله - يقول : (من لم يردعه ذكر الموت والقبور والآخرة ، فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع) .

ويقول عبد العزيز بن أبي رواد : (من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ : بالإسلام ، والقرآن ، والشيب) .

قال ابن دقيق العيد : ما تكلمت كلمة ، ولا فعلت فعلاً إلا أعددت له جوابًا بين يدي الله .

عبد الله : تمر الأيام ، وتتوالى السنون ، ونودع أحبة أعزاء على قلوبنا ؟؟ فكم في هذه الفترة من

عزيز فارقناه ؟؟ وكم من صديق شيَّعناه ؟؟ وكم من حبيب في قبره وضعناه ؟؟ ثم نعود إلى بيوتنا فنأكل ونشرب ، ونفرح ونمزح .

تذكر إذا بادر أهلك بشراء كفنك ، ثم قلَّبك المغسِّل ، ثم رفعت على النعش فوق أكتاف الرجال لتودع في قبرك ، كم تسمع من يخرج من بيته معافى ثم لا يرجع إلا إلى المقابر . تذكر حين تخرج من بيتك هل ترجع كما خرجت وإلا لا ترجع إلا محمولاً على النعش للمقبرة ؟! .

أكرر : إننا لا نكاد نجد بيتًا إلا وقد أصيب

أهله بمصيبة إما بفقد أب أو أم ، أو ولد أو قريب ، أو صديق ، فجأة بغتة أليس من الجدير بالعاقل أن يتفطن لنفسه ويحاسبها ، ويعلم أنه زائل من هذه الدنيا ، قادم إلى الآخرة ، إنْ طويلاً وإن قصيرًا ، إنْ عاجلاً أو آجلاً لا محالة ، يتذكر الواحد منا ويتفكر في مصيره حين تقف أنفاسه وتنقطع أوقاته ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤] الموت يأتي بغتة دون سابقة إنذار أو إشعار ، يتذكر إذا خرج من أهله مسرورًا هل يعود إليهم

كما خرج أو لا يعود إلا وقد حمل على النعش ، يتذكر إذا لبس ثوبه وأغلق أزاريره ، هل يخلعه كما لبسه أو لا يخلعه منه إلا المغسل .

قصة : هاهم أربعة من الشباب ، كانوا يعملون في دائرة واحدة ، مضت عليهم سنين وهم يجمعون رواتبهم ، فإذا سمعوا ببلد يفعل الفجور طاروا إليها ، وبينما هم في ذات يوم جالسين إذ سمعوا ببلاد لم يذهبوا إليها ، وعقدوا العزم أن يجمعوا رواتبهم هذه المرة ليسافروا إلى تلك البلاد التي حددوها . وجاء وقت الرحلة ،

وركبوا طيارتهم ، ومضوا إلى ما يريدون ، ومر عليهم أكثر من أسبوع في تلك البلاد وهم بين زنا وخمور ، وأفعال لا ترضي الرحمن ، وبينما هم في ليلة من الليالي ، وفي ساعة متأخرة من الليل ، يجاهرون الله تعالى بالمعصية والفجور ، نعم بينما هم في غمرة اللهو والمجون إذا بأحد الأربعة يسقط مغشيًا عليه ، فيهرع إليه أصحابه الثلاثة ، فيقول له أحدهم في تلك الليلة الحمراء : يا أخي ، قل لا إله إلا الله ، فيرد الشاب - عياذًا بالله - : إليك عني ، زدني كأس خمر ، تعالي يا فلانة ، ثم

فاضت روحه وهو على تلك الحال السيئة ، نسأل الله تعالى السلامة والعافية . ثم كان حال الثلاثة الآخرين لما رأوا صاحبهم وما آل إليه أمره أنهم أخذوا يبكون ، وخرجوا من المرقص تائبين ، وجهزوا صاحبهم ، وعادوا به إلى بلاده محمولاً في التابوت ، ولما وصلوا المطار فتحوا التابوت ليتأكدوا من جثته ، فلما نظروا إلى وجهه فإذا عليه كدرة وسواد - عياذًا بالله - .

أخرج إلى المقابر فاعتبر بأهلها ، فأي موعظة من أن ترى ديار الأقران وأحوال الخلان ، وقبور

الأحباب وغيرهم ، سوف نموت ، ونتنقل إلى الدار الآخرة ، كما مات غيرنا من الناس ، أجيال ذهبت ، أمم انتقلت إلى الله - تعالى - ؛ من نحن ؟ وكم نعيش ؟ ما هي أعمارنا في هذه الدنيا ؟

سنموت ، وسيُبكى علينا ، ثم نكون فيما بعد نسيًا منسيًا . . فنعلم أننا سنكون مثلهم ثم لا يكون منا انتباه حتى ينتبه الغير بنا ؟!! فالعاقل من انتبه بغيره . إنها أمور وحوادث نشاهدها ونسمع عنها ، ولكن الغفلة منا عن تذكر ما قد وعدنا ، فإلى الله المشتكى .

إن هذه هي الحقيقة التي نشاهدها في غيرنا وستمر علينا ، فالسعيد من وعظ بغيره لا من وعظ بنفسه . يتذكر حينما يوضع في قبره ، وتُصَفُّ عليه اللبنات ، هل يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ؟! لحظة من فضلك ! في اللحظات القليلة التي قرأت فيها أسطرًا معدودة من هذا الكتاب ، قد مات الكثير من الناس !! وللأسف منهم من مات على معصية والعياذ بالله!! خاطب نفسك : لا أعلم في أي لحظة يتوقف نَفَسِي أو دقات قلبي ، أنا

قائم أو ماش أو نائم ، فأرحل من الدنيا ، فكيف حياتي ومستقبلي ومصيري وعيشي بعد الموت ؟ هل أنا في نعيم أم في جحيم ؟.

ليس المشكلة أن نموت ، فالموت مصير كل مخلوق ، المشكلة على ماذا نموت ؟ وما هي حياتنا بعد الموت ؟

عبد الله : إذا خفت الطريق ، وقلَّ الرفيق ، وابتعد الصديق ، فلا تقف ؛ إذ الجنة أغلى مما يعيق ، فسلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة .

عبد الله : الجنة ، وما أدراك ما أهل الجنة ؟!

أهل الجنة ملوك آمنون ، وفي أنواع السرور يمتعون ، ولهم فيها كل ما يشتهون ، وإلى وجه الله ناظرون ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢٠] ، فيها فوق ما يخطر بالبال ، أو يدور في الخيال ، قال تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ [الإنسان : ١٩] . تأمل هذا وصف الخدم ، فما ظنك بالمخدومين ؟! .

وهناك أعظم نعمة على الإطلاق ، وهي النظر إلى وجه الله تعالى ، فبعد الفوز بالجنان من

القصور والحور ، وما أخفاه الله لنا من قرة أعين ، هناك أفضل من ذلك وأعلى ، وهو النظر إلى وجهه الكريم ، الذي هو غاية الحسنى ، ونهاية النعمة ، كما في الصحيحين أن النبي ﷺ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال : « **إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته** » ، وفي رواية للبخاري : « **إنكم سترون ربكم يوم القيامة عيانًا** » يا الله ، يا الله هذا لذة الخبر ، فكيف لذة النظر ؟!

إخواني : إن أعلى وأغلى ، وأسمى وأنفس

وأسنى ، وأتم وأكمل ، وألذ وأطيب ، وأحلى وأهنا متعة ولذة ، وأنس وسعادة ؛ رؤية وجه الله تعالى ، ذي الجلال والإكرام والجمال والكمال ، والعظمة المتعال ، هل هناك نعيم أعظم من ذلك ؟ لا ، والله الذي لا إله إلا هو ، لا نعيم بعد ذلك ، فالجنة ليست اسمًا لمجرد الأشجار والفواكه والطعام والشراب والحور العين والأنهار والقصور ، وأكثر الناس يغلطون في مسمى الجنة ، فإن الجنة اسم لدار النعيم المطلق الكامل ، ومن أعظم نعيم الجنة : التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم ، وسماع

كلامه ، وقرة العين بالقرب منه وبرضوانه ، فلا نسبة للذة ما فيها من المأكول والمشروب والملبوس والصور إلى هذه اللذة أبدًا ، فأيسر يسير من رضوانه : أكبر من الجنان وما فيها من ذلك كما قال تعالى : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة : ٧٢] فيا سبحان الله !! أهل الجنة يتقلبون بين شتى المطايب والمكرمات ، ويعانقون الغيد عناق الأغصان المتآلفات ، ويرتعون في مسارح اللذات والمسرات ؛ ورغم هذا وذاك لا يعطون شيئًا أحب إليهم من النظر إلى رب الأرض والسموات ،

فيا لكرامة نزلهم، وسعد تلك الأطراف الناظرات .

الله أكبر ، تخيل ملك الملوك الجبار ، رب الأرض والسماء ، خالق الأكوان والأفلاك ، ويأتي إلينا ويسألنا : يا أهل الجنة هل رضيتم ؟؟!

يقول المولى ﷻ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة : ٢٢ - ٢٣] ليس إلى جمال صنع الله ، ولكن إلى جمال وجلال وكمال ذات ذي العزة والجلال ، فوالله ما طابت الدنيا إلا بذكره ، ولا الآخرة إلا بجنته ، ولا الجنة إلا برؤيته .

هناك تهنأ الأرواح برؤية الله ، فإنك إذا تذكرت جلال الله وعظمته وجماله وكماله ؛ اشتاق قلبك إلى هذه النعمة « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا »[(١)] ، فالمحافظة على هاتين الصلاتين سبب في أعظم مغنم أهل الجنة ، وهي رؤية الله ﷻ ، ومن لا يحافظ عليها

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

لا يرجو رؤية الله ﷻ.

يقول الإمام أحمد : « من ترك الوتر فهو رجل سوء لا ينبغي أن تقبل له شهادة » . الله المستعان ، ما هو حال أبناء المسلمين اليوم ، حتى الصلوات المفروضة تركها بعضهم والعياذ بالله ، مالنا لا نرى في صلاة الفجر إلا صفًا أو صفًا ونصف ، أسألك بالله إن كنت صادقًا فأين صليت الفجر اليوم ؟ في جماعة المسلمين ، أم كنت في ركب المتخلفين ؟

اسمع المحب الصادق وهو يقول : ٤٠ سنة

ما فاتتني تكبيرة الإحرام . والآخر يقول ٥٠ سنة ما فاتتني صلاة الجماعة .

أخي : الفجر امتحان ، بل أول امتحان يخوضه كل منا صبيحة كل يوم ؛ لينجح فيه من وثب من فراشه ، صافًّا قدميه بين المصلين ، ويرجع بالخيبة والخسران من اختطفه الفراش الدافئ ، والنعاس اللذيذ ، وما أقبح يوم بدأ بعصيان الله ومخالفة أمره .

حافظ على صلواتك الخمس

كم مصبح تراه لا يمسي

واستقبل اليوم الجديد بتوبـة

عل أن تمحو ما كان بالأمس

فالسعيُد مِن اعتبر بأمسِه ، ونظر لنفسه ، وحافظ على خمسه ، وأعدَّ لرمسِه ، وراقبَ الله في جهرِه وهمسِه .

أما ترون أننا بحاجة لمراجعة حساباتنا في محبتنا ؟

ألا يا نفس ويحك ساعديني

بسعي منك في ظلـم الليـالي

لعلك في القيامـة أن تفـوزي

بطيب العيش في تلك العـلالي

ولله در من قال : (والله الذي لا إله إلا هو الأمة لن تقوم إلا إذا عظمت الله ، إلا إذا وقرت ربها ، إلا إذا عبدت رب السموات والأرض كما ينبغي) .

وإليك فائدة : عقيدة كل مسلم (١) :

١ - لماذا خلقنا الله تعالى ؟ خلقنا لنعبده ولا نشرك به شيئًا قال ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات : ٥٦] وقال ﷺ : « **حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا**

---

(١) سؤال وجواب مع الدليل من القرآن والسنة الصحيحة .

به شيئًا »(١) .

٢- كيف نعبد الله تعالى ؟ كما أمرنا الله ورسوله ﷺ مع الإخلاص ، قال ﷻ : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة : ٥] ، وقال ﷺ : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** »(٢) (أي : مردود) .

٣- هل نعبد الله خوفًا وطمعًا ؟ نعم ، نعبده خوفًا وطمعًا ، قال ﷻ : ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفًا وَطَمَعًاۚ ﴾ [الأعراف : ٥٦] (أي : خوفًا من ناره ،

---

(١) متفق عليه .

(٢) أخرجه مسلم .

وطمعًا في جنته) ، وقال ﷺ : « **أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار** »[١] .

٤ – ما هو الإحسان في العبادة ؟ مراقبة الله وحده الذي يرانا ، قال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ ﴾ [النساء : ١] ، وقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ ﴾ [الشعراء : ٢١٨] ، وقال ﷺ : « **الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** »[٢] .

(١) أخرجه أبو داود .

(٢) أخرجه مسلم .

٥- لماذا أرسل الله الرسل ؟ للدعوة إلى عبادته ، ونفي الشرك عنه ، قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] ، وقال ﷺ : « **الأنبياء إخوة من علات ، وأمهاتهم شتى ، ودينهم واحد** »[1] (أي كل الرسل دعوا إلى التوحيد) .

٦- ما هو توحيد الإله ؟ إفراده بالعبادة ، كالدعاء والنذر ، والحكم ، قال ﷻ : ﴿ فَاعْلَمْ

---

(١) أخرجه مسلم .

أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] (أي لا معبود بحق إلا الله)، وقال ﷺ: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»[١].

٧ - ما معنى: لا إله إلا الله؟ لا معبود بحق إلا الله، قال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَـٰطِلُ ﴾ [لقمان: ٣٠]، وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه»[٢].

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم.

٨- ما معنى التوحيد في صفات الله ؟

إثبات ما وصف الله به نفسه أو رسوله ﷺ ، قال ﷻ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، وقال ﷺ : « **ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا** » (١) (نزولاً يليق بجلاله) .

٩- ما هي فائدة التوحيد للمسلم ؟ الهداية في الدنيا ، والأمن في الآخرة ، قال ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه مسلم .

ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام : ٨٢] ، وقال ﷺ : « **حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا** »(١) .

١٠ - أين الله ؟ الله على السماء فوق العرش ، قال ﷻ : ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه : ٥] (أي : علا وارتفع ، كما جاء في البخاري) ، وقال ﷺ : « **إن الله كتب كتابًا : إن رحمتي سبقت غضبي ، فهو مكتوب عنده فوق**

---

(١) متفق عليه .

العرش »(١) .

١١- هل الله معنا بذاته أم بعلمه ؟ الله معنا بعلمه يسمعنا ويرانا ، قال ﷻ : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] (أي : بحفظي ونصري وتأييدي) ، وقال ﷺ : « إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم »(٢) (أي : بعلمه يسمعكم ويراكم) .

---

(١) أخرجه البخاري .

(٢) متفق عليه .

١٢- ما هو أعظم الذنوب ؟ أعظم الذنوب الشرك بالله ، قال ﷻ : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان : ١٣] ، وسئل ﷺ : أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : « أن تجعل لله ندًا وهو خلقك »(١) .

١٣- ما هو الشرك الأكبر ؟ هو صرف العبادة لغير الله كالدعاء ، قال ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الجن : ٢٠] ،

(١) أخرجه مسلم.

وقال ﷺ : « أكبر الكبائر الإشراك بالله »[(١)] .

١٤- ما هو ضرر الشرك الأكبر ؟ الشرك الأكبر يسبب الخلود في النار ، قال ﷻ : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [المائدة : ٧٢] ، وقال ﷺ : « من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار »[(٢)] .

١٥- هل ينفع العمل مع الشرك ؟ لا ينفع

(١) أخرجه البخاري .

(٢) أخرجه مسلم .

العمل مع الشرك قال ﷻ : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٨] ، وقال ﷺ : « قال الله ﷻ : من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » حديث قدسي (١) .

١٦- هل الشرك موجود في المسلمين ؟

نعم ، موجود بكثرة مع الأسف ، قال ﷻ : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] ، وقال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى يعبدوا

(١) أخرجه مسلم .

الأوثان »(١) .

١٧- ما حكم دعاء غير الله كالأولياء ؟ دعاؤهم شرك يدخل النار ، قال ﷻ : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٣] (أي : في النار) ، وقال ﷺ : « من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار »(٢) .

١٨- هل الدعاء عبادة لله تعالى ؟ نعم ، الدعاء عبادة لله تعالى ، قال ﷻ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ

---

(١) صحيح ، أخرجه الترمذي .

(٢) أخرجه البخاري .

ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر : ٦٠] ، وقال ﷺ : « الدعاء هو العبادة »(١) .

١٩- هل يسمع الأموات الدعاء ؟ الأموات لا يسمعون الدعاء ، قال ﷻ : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [النمل : ٨٠] ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝ ﴾ [فاطر : ١١] ، وقال ﷺ : « إن لله ملائكة سياحين في الأرض ، يبلغوني من أمتي السلام »(٢) .

---

(١) أخرجه الترمذي .

(٢) أخرجه النسائي .

٢٠- هل نستغيث بالأموات أو الغائبين ؟

لا نستغيث بهم ، بل نستغيث بالله ، قال ﷻ : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال : ٩]

« كان ﷺ إذا أصابه هم أو غم قال : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث » .

٢١- هل يجوز الاستعانة بغير الله ؟ لا تجوز الاستعانة إلا بالله ، قال ﷻ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [الفاتحة : ٥] ، وقال ﷺ :

« إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن

بالله »(١).

٢٢- هل نستعين بالأحياء الحاضرين ؟

نعم : فيما يقدرون عليه ، قال ﷻ : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة : ٢]. ، وقال ﷺ : « **والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه** »(٢).

٢٣ - هل يجوز النذر لغير الله ؟ لا يجوز النذر إلا لله ، قال ﷻ : ﴿ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ

---

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه مسلم.

مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ﴾ [آل عمران : ٣٥] ،
وقال ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه »(١) .

٢٤- هل يجوز الذبح لغير الله ؟ لا يجوز ؛ لأنه من الشرك الأكبر ، قال ﷻ : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ ﴾ [الكوثر : ٢] (أي : الذبح لله فقط) ، وقال ﷺ : « لعن الله من ذبح لغير الله »(٢) .

٢٥- هل يجوز الطواف بالقبور ؟ لا يجوز

(١) أخرجه البخاري .

(٢) أخرجه مسلم .

الطواف إلا بالكعبة ، قال ﷻ : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] (أي : الكعبة) ، وقال ﷺ : « من طاف بالبيت العتيق سبعًا ، وصلى ركعتين ؛ كان كعتق رقبة »(١) .

٢٦- هل تجوز الصلاة والقبر أمامك ؟ لا تجوز الصلاة إلى القبر ، قال ﷻ : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة : ١٤٤] (أي : استقبل الكعبة) ، وقال ﷺ : « لا تجلسوا على

(١) أخرجه ابن ماجه .

القبور ولا تصلوا إليها »(١) .

٢٧- ما حكم العمل بالسحر ؟ العمل بالسحر كفر ، قال ﷻ : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] ، وقال ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله والسحر »(٢) .

٢٨- هل نصدق العراف والكاهن ؟ لا نصدقهما في إخبارهم عن الغيب ، قال ﷻ : ﴿ قُل

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه مسلم .

﴿ لَا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال ﷺ: «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»(١).

٢٩- هل يعلم الغيب أحد؟ لا يعلم الغيب أحد إلا الله، قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال ﷺ: «لا يعلم الغيب إلا الله»(٢).

٣٠- بماذا يجب أن يحكم المسلمون؟ يجب

(١) أخرجه الإمام أحمد.
(٢) أخرجه الطبراني.

أن يحكموا بالقرآن والسنة ، قال ﷻ : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٩] ، وقال ﷺ : « الله هو الحكم وإليه الحكم »(١) .

٣١ – ما حكم القوانين المخالفة للإسلام ؟

العمل بها كفر أكبر إذا أجازها ، قال ﷻ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] ، وقال ﷺ : « وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ، ويتخيروا مما أنزل الله ؛ إلا جعل

(١) أخرجه أبو داود .

الله بأسهم بينهم »(١) .

٣٢- هل يجوز الحلف بغير الله ؟ لا يجوز الحلف إلا بالله ، قال ﷻ : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن : ٧] ، وقال ﷺ : **« من حلف بغير الله فقد أشرك »**(٢) .

٣٣- هل يجوز تعليق الخرز والتمائم ؟ لا يجوز تعليقهما ؛ لأنهما من الشرك ، قال ﷻ : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾

---

(١) أخرجه ابن ماجه .

(٢) أخرجه الإمام أحمد .

[الأنعام : ١٧] ، وقال ﷺ : « **من علق تميمة فقد أشرك** »[١] (التميمة : ما يعلق من العين والآفة) .

٣٤ - بماذا نتوسل إلى الله تعالى ؟ نتوسل بأسمائه وصفاته والعمل الصالح ، قال ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، وقال ﷺ : « **أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك** »[٢] .

٣٥- هل يحتاج الدعاء لواسطة مخلوق ؟ لا

(١) أخرجه الإمام أحمد .
(٢) أخرجه الإمام أحمد .

يحتاج الدعاء لواسطة مخلوق ، قال ﷻ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، وقال ﷺ : « **إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم** » (١) (أي : بعلمه يسمعكم ويراكم) .

٣٦ - ما هي واسطة الرسول ﷺ ؟ واسطة الرسول ﷺ هي التبليغ ، قال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴾ [المائدة : ٦٧] ، وقال

(١) متفق عليه .

ﷺ : « **اللهم اشهد** »(١) (جوابًا لقول الصحابة : أي نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت) .

٣٧- ممن نطلب شفاعة الرسول ﷺ ؟ نطلب شفاعة الرسول ﷺ من الله ، قال ﷻ : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٤٤] « **اللهم شفعه فيَّ** »(٢) (أي : شفع الرسول ﷺ فيَّ) .

٣٨- كيف نحب الله ورسوله ﷺ ؟ المحبة تكون بالطاعة واتباع الأوامر ، قال ﷻ : ﴿ قُلْ إِن

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه الترمذي .

كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين »(١) .

٣٩ - هل نبالغ في مدح الرسول ﷺ ؟ لا نبالغ في مدح الرسول ﷺ ، قال ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف : ١١٠] ، وقال ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا

---

(١) أخرجه البخاري .

عبد الله ورسوله » [1].

٤٠- من هو أول المخلوقات ؟ من البشر آدم ، ومن الأشياء القلم بعد العرش والماء ، قال ﷻ : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص : ٧١] ، وقال ﷺ : « **إن أول ما خلق الله القلم »** [2].

٤١- من أي شيء خلق محمد ﷺ ؟ خلق الله محمدًا ﷺ من نطفة ، قال ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى

---

(١) أخرجه البخاري .

(٢) أخرجه أبو داود .

خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ [غافر : ٦٧] ، وقال ﷺ : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة » (١) .

٤٢- ما حكم الجهاد في سبيل الله ؟ الجهاد واجب بالمال والنفس واللسان ، قال ﷻ : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٤١] ، وقال ﷺ : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » (٢) .

(١) متفق عليه .

(٢) أخرجه أبو داود .

٤٣- ما هو الولاء للمؤمنين ؟ هو الحب والنصرة للمؤمنين الموحدين ، قال ﷻ : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٧١] ، وقال ﷺ : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا** »(١) .

٤٤- هل تجوز موالاة الكفار ونصرتهم ؟ لا تجوز موالاة الكفار ونصرتهم ، قال ﷻ : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة : ٥١] (أي :

---

(١) أخرجه مسلم .

الكافرون) ، وقال ﷺ : « إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء » ؛ لأنهم من الكفار (١) .

٤٥- من هو الولي ؟ الولي هو المؤمن التقي ، قال ﷻ : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ ﴾ [يونس : ٦٢ - ٦٣] ، وقال ﷺ : « إنما وليي الله وصالح المؤمنين » (٢) .

٤٦- لماذا أنزل الله القرآن ؟ أنزل الله القرآن

---

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

للعمل به ، قال ﷻ : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ ﴾ [الأعراف : ٣] ، وقال ﷺ : « اقرؤوا القرآن واعملوا به ، ولا تجفوا عنه ، ولا تغلوا فيه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به »(١) .

٤٧- هل نستغني بالقرآن عن الحديث ؟

لا نستغني بالقرآن عن الحديث ، قال ﷻ : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [النحل : ٤٤] ، وقال ﷺ : « ألا أني أوتيت القرآن

(١) أخرجه الإمام أحمد .

ومثله معه »[1] .

٤٨- هل نقدم قولاً على قول الله ورسوله ﷺ ؟ لا نقدم قولاً على قول الله ورسوله ﷺ ، قال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات : ١] ، وقال ﷺ : « لا طاعة في معصية الله ، إنما الطاعة في المعروف »[2] .

٤٩- ما ذا نفعل إذا اختلفنا ؟ نعود إلى الكتاب والسنة الصحيحة ، قال ﷻ : ﴿ فَإِن

(١) أخرجه الإمام أحمد .

(٢) أخرجه أبو داود .

تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] ، وقال ﷺ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله » .

٥٠- ما هي البدعة ؟ كل ما لم يقم عليه دليل شرعي ، قال ﷻ : ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ [الشورى : ٢١] ، وقال ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[1] (أي : غير مقبول) .

٥١- هل في الدين بدعة حسنة ؟ ليس في

---

(١) متفق عليه .

الدين بدعة حسنة ، قال ﷻ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، وقال ﷺ : « إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة »(١) .

٥٢- هل في الإسلام سنة حسنة ؟ نعم ، كالبادئ بفعل خير ليقتدى به ، قال ﷻ : ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان : ٧٤] ، وقال ﷺ : « من سن في الإسلام سنة حسنة فله

(١) أخرجه أبو داود .

أجرها وأجر من عمل بها من بعده »(١).

٥٣- هل يكتفي الإنسان بإصلاح نفسه ؟

لا بد من إصلاح نفسه وأهله ، قال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم: ٦] ، وقال ﷺ : « إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه »(٢).

٥٤- متى ينتصر المسلمون ؟ إذا عملوا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، قال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه الترمذي.

ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝﴾ [محمد: ٧]، وقال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي منصورين**»(١).

والداعي للتطرق لهذه القضية؛ لأن العناية بالتوحيد من أهم المهمات، وأشد الضرورات؛ لأنه مهما بلغ العبد من الصلاح والتقوى، وحافظ على السنن والفرائض، وأكثر من الخيرات ولكنه على غير عقيدة صحيحة، يعبد غير الله، يسأل غير الله، يذبح لغير الله، ينذر لغير الله ﷻ،

(١) أخرجه ابن ماجه.

فإنه بهذا يكون قد صرف نوعًا من العبادة لغير الله ، فحينئذ لا تنفعه صلاته ولا صومه ولا حجه ، ولا تقواه ، ولا محبته للخير ؛ لأنه هدم الأساس الذي تقوم عليه العبادة وهو التوجه إلى الله وحده دون من سواه ، قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ [الزمر : ٣] .

وفي الختام عبد الله : إذا كان رضا الله أكبر همك فادع إلى الله ، أرواحنا . . . أرزاقنا . . . أيامنا . . . حياتنا كلها من الله ، وإلى الله . . . فلتُبذل في سبيل الله .

عبد الله : الله الله في الدعوة إلى الله والنصح لخلق الله : يقول جرير بن عبد الله رضي الله عنه : « بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم » (١) ، أما تعلم أن هذا العمل عمل المرسلين الذين اصطفاهم الله من خلقه ، وعمل المصطفين من أتباعهم ؟ فكما اصطفى الله الأنبياء لهذا الواجب ، اصطفى من جملة الأتباع من يقوم بهذا الواجب أيضًا ،

(١) متفق عليه .

إنّكَ والله لو عقلت لبكيت على عدم كونك من الدعاة ؛ لأنَّكَ لست من المصطفين . فلا تنس أن تترك لك بصمة في خدمة دينك . يقول الإمام ابن تيمية : « لا تظن أن الأمانة أن تتوضأ برطل من ماء ، وتصلي ركعتين في المحراب ، إنما الأمانة أن تحمل هذا الدين وتحمله للناس » ، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ ﴾ [النمل : ١٨] ، نملة هنا نكرة ، لم يقل (النملة) فهي نملة نكرة حملت هم أمة فأنقذتها ، أليس الخطر الذي يهدد أمتنا

أعظم من الخطر الذي هدد نمل سليمان ؟ كم منا من يحس بإحساس النملة ، ويسعى منقذًا لأمته ؟ الدعوة إلى الله صمام أمان ، وسفينة نجاة للمجتمعات ، وكلما غابت هذه الشعيرة العظيمة انتشرت الشرور والفتن ، والشرك والبدع ، فادع إلى ربك ، وافتح للعاصين باب التوبة ، وذكِّرهم بعظمة رحمة الله وجوده وعفوه : الله أرحم الراحمين ، يعرض رحمته جلّ في علاه على عباده ، ويحذرهم من القنوط منها : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ

ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر : ٥٣] الرحمة التي تسع كل معصية مهما كانت ، إنها دعوة العصاة المبعدين في تيه الضلال إلى الأمل والثقة بعفو الله ، فإذا ما تسلطت عليه لحظة يأس وقنوط ، سمع هذا النداء الندي اللطيف ، الذي يعلن أنه ليس بين المسرف على نفسه إلا الدخول في هذا الباب ، الذي ليس عليه بواب يمنع ، ولا يحتاج من يلج فيه إلى استئذان . وفي الحديث : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ

مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ »[1] . غفر سبحانه لامرأة بغي من بني إسرائيل لما سقت كلبًا يلهث من شدة العطش ، ففي الصحيحين : « بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش ، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها به » . وغفر لمن تاب بعدما قتل مائة نفس بغير حق ، لما علم صدق توجهه . وشكر لرجل

(١) أخرجه البخاري .

وغفر ؛ لأنه أزاح غصن شجرة عن طريق الناس . وفي الصحيحين : « بينما يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره ، فشكر الله له فغفر له » ، وهو الذي قال وأثبت عن نفسه : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

وتأمل قوله ﷺ : « إن لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس ، والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون وفيها يتراحمون ، وأخّر تسعًا

وتسعين رحمة ، يرحم بها عباده يوم القيامة »[١] ؛ لنعلم مدى سعة رحمة الله ، فلا يأس ولا قنوط من رحمة الله ، بل نفتح ونبشر كل عاص مهما أجرم وأسرف وفعل ، أن من تاب تاب الله عليه .

وقل للغافل : احمد الله أن مدّ الله في عمرك ، ولم يقبض نفسك وأنت في غيك ، وإعراضك وغفلتك ، فبادر بالتوبة ، وانفض عن نفسك غبار الغفلة ، واعلم أن باب التوبة مفتوح ، وأن

(١) متفق عليه .

عطاء ربك ممنوح ، وأن فضله يغدو ويروح ، واعلم أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وأن الله يبدل سيئاتك حسنات ، وأن الله يفرح بتوبتك ، ولا تيأس ولا تقنط ، وأحسن الظن بالله ، والرجاء مع العمل ، فمن أحب شيئًا أحسن ظنه به ورجاه .

عن الحسن البصري أنه قال : « إن قومًا ألهتهم أماني المغفرة ، رجاء الرحمة ، حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة . يقول أحدهم : إني لحسن الظن بالله وأرجو رحمة الله ،

وكذب ، ولو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله ، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة ، يوشك من دخل المفازة (الصحراء) من غير زاد ولا ماء أن يهلك . وقال : المؤمن يجمع إحسانًا وخوفًا ، والمنافق يجمع تقصيرًا وأمنًا » ، فاحذر النفاق تفوز وتسعد .

اللهم اجعلنا ممن يتعظون بمواعظك ، وممن يقفون عند حدودك ، وممن يراقبونك ويخشونك في السر والعلن يا ذا الجلال و الإكرام .

اللهم اجعلنا نخشاك كأننا نراك .

يا من يرى مد البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليـل
ويرى مناط عروقها في نحرها
والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الـدم في أوداجهـا
متنقلاً من مفصل في مفصل
ويرى وصول غذى الجنين ببطنها
في ظلمـة الأحشـاء بغيـر تمقل
ويرى مكان الوطء مـن أقـدامها
في سيرها وحثيثهـا المستعجل

ويرى ويسمع حس ما هو دونها

في قـاع بحـر مظلـم متهـول

أمـنن عـلي بتوبـة تمحـوا بهـا

ما كان مني في الزمـان الأول ؟

بالله ، يا نـاظرًا فيهـا ومنتفعًـا

منها سَلِ اللهَ توفِيقًا لجامِعِهـا

وبهذا ينتهى ما رمناه ، وتم ما أردناه ، يوم السبت الموافق السابع من شهر شوال لعام ألف وأربعمائة وثلاث وثلاثين من هجرة نبينا محمد ﷺ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

أجمعين .

